سلسلة دروس من سورة المائدة (٢ـ ٤)

دروس من هدي القرآن الكريم

سورة المائدة

(الدرس الثاني)

ألقاها السيد/ حسين بدر الدين الحوثي

بتاريخ: ١ من ذي القعدة ١٤٢٢هـ

الموافق: ٢٠٠٢/١/١٤م

اليمن ـ صعدة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيلٍ لها في أشـــرطة (كاسيت) وقد أُلْقِيَتْ ممزوجةً بمفرداتٍ وأساليبَ من اللهجة المحلية العامِّيَّة.

وحرصًا منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

والله الموفق.

إعداد: يحـــيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

أي شيء مهما كان مهماً، مهما كان عظيماً لا بُد أن يسمع الإنسان كلاماً معاكساً، كلاماً مُثبِّطاً، كلاماً مشوَّهاً، والقرآن الكريم عرض علينا نماذج مما حصل، القرآن الكريم هو كتاب من عند الله سبحانه وتعالى وهو أعظم كتبه التي أنزلها إلى عباده، ماذا قال الآخرون في مقابلة القرآن؟ ماذا قالوا؟ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾(المدثر:٢٤) ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(الفرقان:٥،٦) جاء الأنبياء من عند الله سبحانه وتعالى نعمة للبشر، هدىً للعالمين، كل أمة كان يأتي من بينها نبيها، وقد يكون الكثير يقول للنبي الذي هو أكمل الناس عقلاً وأزكاهم نفساً: مجنون، شاعر، مُفترٍ، كذاب، ساحر، هذه أيضاً عرضها القرآن الكريم لأنه كان الأمم كلها لم يحدث أن أُرسل رسولٌ إلى أمة إلاّ وجاء من بينها من يقول: مجنون أو ساحر ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾(المؤمنون:٢٤) أن يتكبر عليكم.

العبرة في هذا: أن تفهم أنه من الطبيعي أن يقال أمام كل شيء مهما كان عظيماً أن تسمع كلاماً يعمل على الحط من مكانته وتشويهه وإبعاد الناس عنه، ماذا قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو سيد البشر، سيد الأنبياء والمرسلين الكامل في نفسه، الزاكي في نفسه الحريص على هداية البشر، الناصح العظيم لهم؟ قالوا عنه: (مجنون، ساحر، شاعر، كذاب، مُفترٍ على الله) يسخرون منه أحياناً ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾(الفرقان:٤١،٤٢) كان يريد أن يخدعهم لولا أنهم كانوا رجالاً وتمسكوا بآلهتهم!

هذا الموضوع طرحناه سابقاً وقلنا بأنه من العجيب أن نكون نحن المسلمين مَن لدينا كتاب الله سبحانه وتعالى هذا الدِّين العظيم دين الإسلام ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ثم لا يحصل لدينا حميَّة لهذا القرآن ولذلك النبي العظيم ولهذا الدِّين العظيم مثل ما كان يحصل عند بعض عُبَّاد الأصنام، ذكرنا لكم قصة قوم إبراهيم (عليه السلام) عندما كان يَسْرَح كل واحد منهم يجمع حطباً يجمع يجمع، حتى جمعوا جبلاً من الحطب. اهتمام ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾(الأنبياء:٦٨) ليس الوقت وقت نوم؛ فالأصنام مُعرَّضة للخطر! وهم منذ لحظات رأوا أصنامهم محطمة جذاذاً.

كذلك هؤلاء في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا * إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لو لم نقف وقفة رجال عندها لحطمها ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾(ص:٦) (امشوا، تحرَّكوا، واصبروا على الآلهة، جاهدوا في سبيلها، كافحوا في سبيلها، لا تتركوها تتعرَّض لأيِّ كلام يَصْرِف الناس عن عبادتها)! وهي أحجارٌ (مُرَكَّزة) أو أخشابٌ (مُرَكَّزة)[1] ليس لها قيمة، فكيف بالمسلمين وإلههُم ربُّ العالمين الذي سيقف معهم إذا وقفوا، سينصرهم إذا نصروه، سيضربُهم إذا توانوا.

نرجع إلى أصل الموضوع، وهو أنه هكذا تسمع في كل زمان أمام كل عمل مهما كانت الأمة في أمسِّ الحاجة إليه في أي مرحلة من مراحل تاريخها، ومن أيِّ جهة يكون مهما كانت عظيمة لا بُد أن يأتي مِن هنا وهناك مَن يتكلم، مَن يُثبِّط، مَن يُشوِّه، مَن يُحارِب، هذا شيءٌ ذكره القرآن الكريم ولم تكن آية أو آيتين بل في آيات كثيرة؛ لأن معرفة هذا نفسه يمثل جانباً مهماً من وعي القضية وفهمها، أن تعرف أنك قد تسمع كلاماً على هذا النحو ومن جهات أخرى، فلتكن على مستوى تجعل ذلك الكلام لا أثر له عندك.

الكلام لا يخلو عن: إما أن يكون تخويفاً، أو يُقدَّم بأسلوب نصح من جانب الذين يواجهون أيَّ عمل مهما كان عظيماً، فليكن لديك قاعدة ثابتة عندما يُخوِّفونك هي: أن الله هو الذي يجب أن أخافه، الذي يجب أن أخشاه؛ لأنه هو القادر على أن يضربك ولا يَحُول أحدٌ دون إرادته فيك، هو الذي يمتلك جهنم، هو الذي بيده جهنم، الذي يُخوِّفك بأي شيء آخر، هل هناك ما يمكن أن يرقى إلى درجة البقاء يوماً واحداً في جهنم؟ ليس هناك أيّ شيء يساوي غَمْسَة واحدة في نار جهنم؛ إذاً تخوِّفني بماذا؟ يجب أن أخاف مَن لا أستطيع أنا ولا يستطيع غيري

---

(١) مُرَكَّزَة: من اللَّهْجَةِ العَامِّيَّةِ، والمقصود بها: مَنْصُوبَة.

أن يصرف عني عذابه وسخطه ومقته. كان جواب نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما كانوا يُخوِّفونه بأن الأصنام ستضره، سيحصل عليه كذا ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾(الأنعام:٨١) تخوِّفونني بماذا؟! أنتم الذين يجب أن تخافوا وأنتم تشركون بالله، أنتم مَن تتعرضون للخطورة العظيمة لنار جهنم ولسخط الله. لاحظوا نبي الله إبراهيم عليه السلام كيف كان إنساناً واعياً على درجة عالية من الوعي، انطلق من مقاييس المقارنة، من قواعد ثابتة لديه، يخوفونه بهذا ويخوفونه بهذا، وكل تخويف يبدو تخويفاً بشيء لا يشكل خطورة مع المقارنة بما يجب أن نخافه من قِبَل الله سبحانه وتعالى ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾؟ أنت تريد أن تخوفني من أجل أن تدفع بي إلى جانب الأمن، أليس كذلك؟ وأنا أخوفك بالله أريد أن أدفعك إلى جانب الأمن ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أيُّ الفريقين يصح أن يقال: هو الآمن، من يكون في واقعه آمناً من عذاب الله وسخطه، أو من يحاول أن يأمن من عذاب الناس وسخطهم ويوقع نفسه في عذاب الله وسخطه؟ هل هو أَمِنَ؟ لم يأمن، أمن من شيءٍ لا يُقارَن بينه وبين ما يمكن أن يحصل من قِبَل الله؛ ولهذا جاءت الآية بالسخرية من التخويف بشيء من دون الله ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾(الزمر:٣٦) يخوفونك بأنه سيحصل عليك كذا وكذا، تهديد من قِبَلهم أو سيحصل عليك من الأصنام ما يَضرُّك أو... لا. أيُّ تخويف بشيء من دون الله لا يشكل خطورة.

فالآمن هو من يأمن من عذاب الله وسخطه. وكل شر وكل عذاب وكل أمر مخوف هو دون جهنم لا قيمة له، بل هو بالنسبة للواعين الفاهمين للخطورة العظيمة التي يجب أن يأمنوا منها، أنه إذا لم يحقق له الأمن من عذاب الله إلاّ أن يخوض هذه الغمار التي تبدو مخيفة للكثير فإنه يخوضها بارتياح؛ لأنها لا تشكّل شيئاً بالنسبة لِمَا يخاف منه، وسيكون خوضها مما يحقق له الأمن يوم القيامة، الأمن من نار جهنم، الأمن من أهوال القيامة، الأمن من شدة الحساب؛ ولهذا قال الله لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليخاطب الناس: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(الأنعام:١٥) هذا الذي يخيفني، فلا بُد أن أنطلق في طاعته، وفيما يحقق لي الأمن من ذلك الشيء المخيف من نار جهنم، مهما كان الأمر، لا يقعد بي أيُّ أمر مخيف من أمور الدنيا، أيُّ شيء مخيف على أيدي الآخرين، أو ألسنة الآخرين ﴿أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

هذا فيما يتعلق بجانب التخويف أن يكون لديك قاعدة ثابتة، مَن ينطلق ليخوفك ـ كيفما كان هدفه من تخويفك ـ فارجع إلى القرآن الكريم تعرف ما هو الأمر الذي يجب أن تخافه فعلاً وبيد من هو، هذه واحدة، تتأمل في القرآن الكريم عندما يتلو الإنسان القرآن الكريم تجد ما كان يحصل من تخويف لأنبياء، لمصلحين، وكيف كانوا يواجهون مَن يخوفهم بأنه يخوفهم بلا شيء، بما ليس مخيفاً مقارنة بما يجب أن نخافه مما هو بيد الله، الله القاهر فوق عباده، الذي لا يستطيع أحد أن يَحُول بينك وبين أن يوقعك في هذا الأمر المخوف: نار جهنم.

أليس الإنسان يولد رغماً عنه، ثم يموت رغماً عنه؟ وستبعث رغماً عنك، وتساق إلى المحشر رغماً عنك، وتساق إلى جهنم ـ إذا كنت من أهلها ـ رغماً عنك، من الذي يستطيع أن يسحبك من أيدي الملائكة وهم يسوقونك إلى جهنم؟ لا أحد؛ لأن من كان يملك أعظم قوة في هذه الدنيا سيأتي يوم القيامة وهو في حالة رهيبة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾(البقرة:١٦٦) كل واحد يكون مشغولاً بنفسه، من كان هنا يمثل في الدنيا قوة جبارة من المجرمين سيأتي يوم القيامة وهو أكثر الناس خوفاً ورعباً وانشغالاً بنفسه. فالقرآن الكريم يثقفنا ويعلمنا كيف يجب أن نواجه مَن يُخوِّفنا بما دون الله، هذه واحدة؛ لأنه في هذا الجانب الله هو الجبار، الله هو الذي بطشه شديد ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾(البروج:١٢).

ثم لنعد إلى الجانب الآخر الذي قد نفسِّر به كلام مَن يتكلم معنا ليثبِّطنا عن أيِّ أمر من الأمور التي هي طاعة لله سبحانه وتعالى، وأداء لمسؤوليتنا أمامه في مقام نصر دينه، أن يكون يتحدث معك من جانب أنه ينصح، وأنه شفيق عليك، وأنه رحيم بك، فتأتي شفقته ونصحه ورحمته بك متركزة على ألاّ تتحرك في أمر من هذه الأمور، نعود إلى القرآن الكريم لنحصل من خلاله على ما يجعلنا واعين أمام هذا الطرح.

القرآن يعلّمنا بأن الله الذي يأمرنا ويرشدنا لمختلف الأعمال الصالحة مهما بدت أمامنا ثقيلة على أنفسنا أنه

فيها ومن خلالها تتجسّد رحمته بنا، أليس هو الرحمن الرحيم؟ هو الرحيم بعباده، هو الناصح لعباده، هو اللطيف بعباده، هو الخبير بما يُصلح عباده؛ إذاً أثق، أثق فعلاً لأقول لأي شخص ـ سواءً قلت له مشافهة أو أقول له بلسان الحال ـ: إن الله هو أرحم بي منك، الله هو أنصح لي منك حتى وإن كنت رحيماً وإن كنت ناصحاً فقد توقعني في الهلكة من حيث لا تشعر، أمّا الله سبحانه وتعالى فهو رحيم بعباده رحيم بنا، وهو الذي يعلم ما هو فعلاً رحمة بنا ويحقق لنا الأمن.

هناك في القرآن الكريم ـ إذا كنت تتدبر آياته وتعي وتفهم، وتريد أن يكون لك موقف في هذه الحياة ـ ستجد من خلاله ما يحول بينك وبين أن تتأثر بأي كلام يقال للتثبيط أو للصرف عن قضية يُصوِّرها لك بأنها تبدو غير مُهِمَّة، مثلاً ولاية الإمام علي عليه السلام قد يأتي من يقول: (ما أهمية قضية ولاية الإمام علي بن أبي طالب في إعطاء عمل معيَّن إيجابية كبرى، أو في حل مشاكل المسلمين في هذا العصر الذي بينه وبين علي ألف وأربعمائة سنة؟ علي الله يرحمه قد قُتِل ذاك اليوم، ونحن نتولاه، لكن لا نشغل أنفسنا بأولئك أو نفرِّق الآخرين عنا من أجل علي، أو، أو...) كان يأتي كلام مثل هذا، بل أمام أهل البيت متى تحدث الإنسان عن أهل البيت يقول: (ليس وقت الحديث عن أهل البيت الآن نحن مشغولون بالناس) أليس يحصل هكذا؟ يتكلم معك عن قضية هي مهمة ليصرفك عنها وقد يكون بحسن نية، لكنه كلام ينبئ عن جهل بأهمية الأمور وعلاقة بعضها ببعض: "ليس هذا وقت الحديث عن هذا الموضوع، سننفر هذا، وهذا يزعل منا، وهذا يروح منا، وستجلب علينا مشاكل، المفروض الآن أن نمشي في عملنا، ليس وقت هذا". ما هي أعمالك؟ أعمالك لا تمشي إلاّ بهذا الشيء الذي تريد أن ترمي به بعيداً عنك.

علي عليه السلام كما تحدثنا بالأمس حول عمل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في خيبر وقلنا أكثر من مرة بأن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان في حركاته إنساناً واعياً على أرقى مستوى يعطي الهداية من كل حركة من حركاته، لمن؟ للأمة كلها، لم يكن همه فقط تلك المجاميع من البشر في عصره في سنوات معدودة محدودة من عمر هذه الأمة، كان ينظر إلى الأمة بكلها ليرسم لها طريق الهداية، ألم يكن الإمام علي عليه السلام في أيام خيبر مُصاباً بالرمد لا يبصر موضع قدميه، وهناك مَن أعينهم سليمة؟ ليقول للأمة: إنها بحاجة إلى علي حتى وإن بدت ـ باعتبار وضعيته ـ غير محتاجة إليه، فليس صحيحاً. أرسل أبا بكر فعاد منهزماً ـ والقضية هي في مواجهة اليهود ـ أرسل عُمر فعاد منهزماً كذلك، ثم أرسل إلى علي ونادى بعلي وهو أرمد، كيف يكون الرمد نفسه يعطينا هداية، الرمد وهو مرض يتعرَّض له الإنسان، أن يُصاب الإمام علي بالرمد في تلك الأيام لها دلالتها المهمة في واقع الحياة بالنسبة للأمة، أولئك الذين أعينهم سليمة كثيرون، لكنه لا بُد من علي.

ومَن يقول: (نحن الآن مشغولون بمواجهة إسرائيل وأمريكا لسنا مشغولين بعلي، علي (سلام الله عليه) قد قُتل ذلك اليوم ونحن نحبه، ومع السلامة، ليس لدينا وقت، نحن مشغولون بعمل، ونحن مشغولون بالإسلام ومشغولون بمواجهة أمريكا وإسرائيل). هذه هي جهالةٌ أن يكون عليٌّ قد مات بالنسبة لنا، كما كان أرمد في أيام خيبر بالنسبة لأولئك، ستحتاج الأمة إلى أن تتولى عليًّا عليه السلام وإن كان علي قد تحوَّل إلى تراب في قبره، ستحتاج إلى أن تتولاه؛ لتهتدي، لتَسلَم قلوبُها، لتسلَم في حياتها، تحتاج إلى أن تتولاه؛ لأن توليه شرطٌ في تأهيل نفسها لتكون من (حزب الله) ما لم فلن يتحقق شيء، واللهُ متى ما رسم شيئاً وحدده فلا يمكن أن يكون هناك شيءٌ بديلاً عنه مهما بدا لك أنه يمكن أن يكون بديلاً عنه، لا يمكن. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(المائدة:٥٦) الذين آمنوا هنا هو الإمام علي عليه السلام وبدون ولاية الإمام علي عليه السلام لن تتحقق هداية، ولن يتحقق للأمة ولأيّ جماعة وضعيةٌ تكون عليها جديرةً بأن تُسمَّى بـ(حزب الله) فتحظى بتأييد الله فتصبح هي حزبه الغالب.

كلمة ﴿الْغَالِبُونَ﴾ هي جاءت في واجهة الحديث عن مواجهة اليهود والنصارى وهم أعداء الأمة على امتداد التاريخ، لماذا؟ بالنسبة لله سبحانه وتعالى كلنا متفقون على الله، أليس كذلك؟ حتى المشركون كانوا يعترفون بالله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(الزخرف:٨٧) بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نحن جميعاً متفقون عليه: أنه هو محمد بن عبد الله هو رسول الله الذي أنزل الله الكتاب الكريم إليه وهو نبينا، أليس المسلمون متفقين على هذا؟ لكنْ لله سبحانه وتعالى منهجُ هدايةٍ يَنْزِلُ بواسطة كتابه ورسوله، ليست المسألة

مسألة أسماء، ولو أن المسألة مسألة أسماء فقط مجرد اعتقادات ليس وراءها شيء لكنا نحن والمشركين متفقين في (الله) أليس كذلك؟ (الله) نحن متفقون بأنه إله، لكن هذا لا يكفي؛ لأن الله هو مَلِكُنا يأتي مِن قِبَله منهجٌ محددٌ لهدايتنا.

رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نحن متفقون عليه لكن ليست المسألة مسألة اتفاق على اسم أو على إعطاء مكانة لشخص هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) المسألة مسألةُ هدايةٍ، له منهجُ هدايةٍ ممتدّ من عند الله سبحانه وتعالى مرتبط بنا، يتجه نحونا؛ إذاً فمِن تحت النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ستتشعب الطرق، أليس كذلك؟ ويتركّز الكثير أمامك رجالاً ونساءً، هنا تحصل إشكالية، ألم تظهر قنوات كثيرة، وكلٌّ منهم يدّعي أنه بواسطته يوصلك إلى محمد، إلى الله سبحانه وتعالى، بواسطته يرشدك إلى هدي الله ورسوله؟ تأتي الإشكالية من هنا؛ ولهذا جاءت الآيات الكريمة نفسها تتحدث عن هذا، لم تأتِ فقط لتقول ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ثم تنتهي القضية ويقول: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(المائدة:٥٦) فعلاً من يتولَّ الله فسيكون هو الغالب، لكن عن طريق مَن أتولّى الله؟ عن طريق من تكون ولايتي لله هي ولاية حقيقية تسير على هديه؟ لأن المسألة ليست فقط مسألة أسماء، ممكن أن يهتدي الواحد حتى من حركة الناس، يعرف.

عندما تذهب إلى الأسواق سترى في السوق نفسه ما يمكن أن يُفيدك في قضايا عمرها ألف وأربعمائة سنة، لكن هل المسألة هي تعود إلى قضية التّنميق وإزالة التراب والتزيين وأن تَعْرِض بضاعتك في مكان مرتفع وبارز؟ في مقام الدِّين، أعلام الدِّين هي قضية تأتي من قِبَل الله سبحانه وتعالى، أنه هو يبدأ يصطفي من داخل ملائكته رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً﴾ ليقوم بالمهمة إلى من؟ إلى البشر، يصطفي من البشر رسلاً ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(الحج:٧٥) إذاً فهو هو الذي يحدد لنا مَن هم الأعلام الذين نتولاهم ونسير على هديهم ونتمسك بهم؛ لأن القضية دقيقة جداً، ومُحكَمَة جداً، ومضبوطة جداً، وهدي واحد، تميل يميناً أو شمالاً تقع في ضلال، وليست القضية متروكة لك مثل: عندما تدخل إلى السوق فتسمع هذا يُروِّج وهذا يُروِّج، وهذا يتلطف لك، وذلك نقّص لك ريالين فتتجه إليه، أو أظهر بضاعته وجعلها بادية أمامك أكثر فتتجه إليه.

المسألة تأتي من قبل الله سبحانه وتعالى إلى رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من قِبَل رسوله هو ليحدد للناس من هم الأعلام الذين يتمسكون بهديهم، وسيظلون بحاجة إلى التمسك بهديهم وتوليهم، وإن كان بينه وبينهم آلاف السنين؛ لأن هدي الله للحياة كلها، أليس كذلك؟

ذلك العَلَم الذي وضعه الله لك هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنت بحاجة إليه وإن كان بينك وبينه ثلاثة آلاف سنة، العَلَم الذي وضعه للأمة مِن بعده، وهي بداية نقطة الافتراق، بداية مفترق الطرق، الموقع المهم هناك؛ لأنه متى ما بدأتَ مِن نقطة الافتراق ومفترق الطرق تميل عنه فستبقى فَلْتَتُك إلى آخر الحياة وآخر عمر الدنيا، من هناك، هناك مفترق الطرق، هناك علي وعلي يمثل طريقاً يمثل هدياً، الميل عنه يميناً أو شمالاً يشكل خطورة بالغة، هي نفسها التي تراها ماثلة آثارُها أمام أعيننا في هذا العصر، وعندما تعود إلى كتب التاريخ ستراها ماثلة أمامك في كل عصر.

فعندما تقول: (ما شأننا ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ نحن الآن مشغولون في عصر جديد، الآخرون طلعوا إلى القمر ونحن مشغولون بعلي وأبي بكر، نحن أمام خطورة بالغة، وأنت مشغول بأهل البيت وبعلي وفلان وفلان، والآخر مشغول بأبي بكر وفلان وفلان) نقول: لا. نحن مسلمون وأعداؤنا يواجهوننا كمسلمين، وينطلقون في حربهم لنا ومن منطلق عداوتهم لنا لأنْ يضرِبوا إسلامنا قبل أن يضربونا شخصيًّا، فمتى ما ضُرِب إسلامُنا واستطاعوا أن يُحَرِّفونا يميناً وشمالاً عنه ويبعدونا عنه سهل عليهم ليس فقط أن يضربونا، بل أن يستعبدونا ويستذلونا. فإذا كان هذا الدِّين، كان هذا الكتاب، كان ذلك الرسول هو للأمة كلها إلى آخر أيامها فلا يزال هو وحده الهادي لها في كل مواقفها.

القرآن الكريم يربط الأمة في كل مرحلة من مراحل حياتها أنها لا بُد أن تتولّى عليًّا عليه السلام ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ أليست هذه قضايا معروفة، مُسلَّم بها؟ وطرف ثالث من هو؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ونحن قلنا بالأمس:[1] إن

(١) في الدرس الأول، سورة المائدة.

كلمة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لو أنها عامة كما يقولون لكانت القضية عائمة، والله لا يُعمّي علينا، الله سبحانه وتعالى رحيم بنا، يهدينا إلى صراط مستقيم إلى طرق واضحة جداً. كيف يُعَمِّي علينا ويتركنا نختلف على (ماذا يريد منا)؟! يُبيِّن ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(آل عمران:١٠٣) لا يُعَمِّي علينا وهو يتحدث عن خطورة بالغة علينا، ألم يتحدث عن خطورة بالغة؟ قد ترتدُّون قد تتحولون إلى يهود ونصارى، قد ترتدُّون بعد إيمانكم كافرين، فهو من يعلم السر في السموات والأرض، وهو الرحيم بنا، لا يمكن أن يُحدّثنا عن قضية بالغة الخطورة جداً علينا ثم يُعَمِّي علينا ولا يبالي. لا. هذا ليس عمل الحكيم، ليس عمل الرحيم، الحكيم الرحيم العليم هو يعمل على أن يُبيِّن آياته للناس لعلهم يهتدون، أليس هو الذي قال لنا: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؟ نقول: إذاً بيِّنْ لنا هنا. وبَيَّن لنا هنا فعلاً ﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(المائدة:٥٥).

قد يقول البعض: لماذا لم يقل (علي) حتى تكون واضحة كالشمس؟ قلنا: هذا أسلوب القرآن الكريم متى ما تناول قضية ليس لها فقط اتجاهٌ واحدٌ في مقام الهداية، تهدي من هنا، ومن هنا، ومن هنا، ومن هنا، كل آية وأنت تراها وكأنها تتحدث لك عن إشكالية مُعيَّنة، كم تلمس في داخلها هداية لجوانب أخرى. القرآن الكريم يتجه ـ بالنسبة لله سبحانه وتعالى، بالنسبة لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بالنسبة لأوليائه ـ يتوجه إلى ترسيخ مبدأ الكمال، الله سبحانه وتعالى بدءًا منه ملأ كتابه الكريم بالحديث الذي يُرسِّخ في أذهاننا كماله هو، هل قدَّم لنا اسمه في القرآن الكريم بأنه (الله) فقط؟ (الله) الذي هو الاسم للذات المقدسة له سبحانه وتعالى، قدَّم لنا نفسه كاملاً يرسِّخ في أذهاننا كماله.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(الحشر:٢٢-٢٤) ما مسار هذه الآيات؟ أليست كلها إبراز كمال الله سبحانه وتعالى وإظهار كماله وعظمته؟ لأنها نقطة مهمة، وقضية مهمة لها أثرها العظيم في مقام الهداية، فيما تخلقه في النفوس، ولها أثرها العظيم في مقام الهداية فيما تخلقه من وعي وفهم ومقاييس ثابتة.

إن تقديم القرآن الكريم لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يرسِّخ كماله كان هو الوسيلة المهمة في القضاء على الشرك ونسفه من أوساط العرب الذين كانت الأصنام تكاد تكون في كل قرية، وفي كل بيت من بيوتهم، ترسيخ مبدأ كمال الله، حتى أصبح العربي ينظر إلى ذلك الصنم الذي كان يمسحه آباؤه وأجداده ويقبِّلونه ويسجدون أمامه وينذرون له بالنذور ويبخرونه بأغلى البخور أصبح محط سخرية وازدراء واحتقار، قد يدوسه بقدمه أو يبول عليه، من أين جاء هذا؟ ألم يكن العرب هم يعرفون الله من قبل؟ يعرفون الله، لكن لم يكن يدور في بالهم ـ ربما ـ أن الألوهية لا تكون إلاّ لمن هو كامل، أن الأكمل هو الجدير بأن يُعبد، أنه هو المستحق لأن يكون هو الإله. ألم يتحدث القرآن بالنسبة للأصنام ليحطها أمامهم باعتبارها ناقصة ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾(الأعراف:١٩٥) وهكذا ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(الأنبياء:٦٦،٦٧) على ذلك النحو حديث عن كمال الله سبحانه وتعالى، على هذا النحو الذي ورد في هذه الآيات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إلى آخر (سورة الحشر) ترسيخ مبدأ الكمال في أذهاننا في قلوبنا كان هو الكفيل بنسف الشرك.

بالنسبة للأنبياء أنفسهم، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وربما كانت هذه الأمة بالذات أحوج الأمم إلى ترسيخ مبدأ الكمال في ذهنيتها ونفوسها أكثر من أي أمة مضت، إذاً سيبدو هذا المبدأ مهمًّا جداً جداً هو كفيل بأن يخلق لديها وعياً واستقامة وثباتاً على امتداد تاريخها إلى يوم القيامة مهما طال الزمن.

تلاحظ، ألم يُعرَض الأنبياء بأسمائهم في القرآن الكريم؟ (موسى، إبراهيم، نوح، عيسى، وهكذا) إلاّ محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فيُقدَّم في القرآن الكريم (رسوله، رسول الله، رسول، رسولنا) أليست كلمة: (رسول) في حد ذاتها هي صفة عظيمة لمحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ كم جاءت كلمة: (محمد) في القرآن؟ في أربعة مواضع

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾(الفتح:٢٩) ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ﴾(الأحزاب:٤٠) ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(آل عمران:١٤٤) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾(محمد:٢) في أربعة مواضع ولأن المقام يتطلب أن يذكر باسمه فيها ليس فقط على طريق أنه كان بالإمكان أن يقول (محمد) أو أن يقول: (رسول) بل لأن المقام نفسه يتطلب في واقع الهداية أن يذكر باسمه فيها، ويأتي القرآن الكريم في الآيات الأخرى يُقدِّم محمداً ليس باسمه، لم يقدِّم محمداً باسمه في المقامات المهمة مثل ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يأتي القرآن الكريم ينادي رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ وكلمة (نبي) وكلمة (رسول) أليست تُقدَّم باعتبارها صفة عظيمة لمحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ أليست تُنبئ عن كمال عظيم هو له أنه رسول لله؟ لأن الله هناك قد قال لنا ما يُبيِّن لنا أن كون فلان رسول الله هو مقامٌ عالٍ وعظيمٌ جداً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾(الأنعام:١٢٤) حتى لا نفهم بأنه فقط يخاطبه بمجرد كونه موظفاً وباسم وظيفة معيَّنة مثل (يا مدير، يا فندم) وأشياء من هذه، وإنما خاطبه بشيء هو من كماله، فيقول: الرسالة، أن يكون فلان رسولاً له هو مقامٌ عالٍ جداً جداً، مرتبة عظيمة جداً ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلآئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(الحج:٧٥) اصطفاء، واصطفاء الله الذي يعلم بالكمال وبمحيط دائرة الكمال بكلها سيكون اصطفاؤه على نحوٍ عالٍ جداً.

أن يكون رسولاً له أن يكون نبيًّا له، أليس هذا يدل على كماله؟ عندما تأتي إلى القرآن الكريم كم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ حتى وهو يخاطب محمداً نفسه ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ لا يقول (يا محمد، يا محمد) على أساس أننا قد عرفنا أن محمداً هو رسول، بل يجب في خطابنا نحن ألاّ نُكثر من كلمة (محمد) إلاّ ونرفقها بكلمة (رسول الله) (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إلاّ في مقامات تستدعي ذلك.

نستخدم كلمة (الرسول) كلمة (النبي) لندور في الإطار الذي يركّز القرآن عليه ويجعله مُهِمًّا جداً، وكلمة (يا أيها الرسول، رسولي، رسولنا، الرسول) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ هل فقط مجرد عبارة يرددها أم أنه يُراد من ورائها أن يترسَّخ في أذهاننا كمال هذا الشخص باعتباره رسولاً ونبيًّا؟ غاب اسمه تحت تكرير كلمة (رسول ونبي) استعرِضْ في القرآن الكريم كم عُرضت هذه الكلمة العظيمة (رسول، رسول) وكلمة (نبي). تأتي كلمة محمد في أربعة مواضع فقط.

وقد تجد في السورة نفسها خطاباً للنبي بأنه نبي ورسول أكثر بكثير من تلك الكلمة التي وردت بذكر اسمه فقط التي هي في (سورة الأحزاب) وفي (سورة الفتح) وفي (سورة محمد) وفي (سورة آل عمران) في داخل السورة نفسها يخاطبه كثيراً كثيراً باسم (نبي ورسول) متى ما جاءت كلمة (محمد) في مقام مُعيَّن لأن المقام يستدعيها فهي واحدة في مقابل عدد كبير من إطلاق كلمة رسول ونبي.

طيِّب، كلمة رسول وكلمة نبي، أليست تقدِّم محمداً بغير اسمه؟ ولأن كلمة رسول وكلمة نبي تعني ترسيخاً له في أذهاننا بكماله؛ حتى نفهم أن ارتباطنا به هو باعتباره رجلاً اصطفاه الله وأكمله واختاره فجعله رسولاً له.

في الجانب العاطفي نفسه أن أكرر هكذا: محمد، محمد هل تستطيع أن تخلق في نفسك ما يشدك نحوه أو عندما أتحدث عنه بصفات كماله: رسول الله هو رسول من عند الله، هو كذا، هو كذا، هو كذا؟ ألستُ سأغيِّب اسمه وأنا أتحدث عن كماله؟ هو نبي الله، لكن عندما أقول لك: محمد، ومحمد، هو محمد، ومحمد هو، هل هذا سيعطيك شيئاً في ترسيخ عظمته في نفسك، وفي ترسيخ مبدأ الكمال هذا المبدأ المهم؟

حتى عندما يذكر الله سبحانه وتعالى بأنه مَنَّ على المؤمنين بهذا النبي العظيم الذي نعلم أنه محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليس يُقدِّمه بأنه رسول؟ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾(التوبة:١٢٨) ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(آل عمران:١٦٤) وعندما يتحدث معه فيتحدث عن صفات أخرى، تأتي كلمة رسول في مقدمة الصفات المهمة له التي تدفعنا إلى أن نعتبره عظيماً وننشدّ إليه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ رسول، وكلمة (رسول) هنا في إطلاقها على هذا النحو من (الإفراد والتنكير) تفيد التعظيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة: ١٢٨) أين اسم (محمد) هنا؟ لو نقرؤها من

جديد: (لقد جاءكم محمد من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم) لاحظ أليست ستهبط كثيراً في التعبير عن عظمة النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ إن محمداً هو الاسم الذي سمَّته به أمه، أو سمَّاه جدّه عبد المطلب، هو اسمُه كاسم أيِّ واحدٍ منا يكون له اسم يختصّ به، اسم عَلَم، لكن ارجع إلى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أليست كلمة (رسول) تعطي شعوراً بكماله؟ إذاً أريد أن أرتبط بمبدأ كمال فأنظر إلى هذا من خلال كماله، أعظمه لكماله، أجلّه لكماله، أحبُّه فيترسَّخ في ذهني رجلاً كاملاً كاملاً، محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يترسَّخ في ذهني أنه رسولُ الله، أنه نبيُّ الله، أنه هادٍ للأمة ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(الفتح:٨) وهكذا.

لاحظوا كيف، عندما جاء مَن يتعامل مع رسول الله كمحمد ومع كلمة (رسول) أنه رسولٌ من طرَف القرية يأخذ مكتوباً ويُسَيِّرُه للآخرين، ومع السلامة، ثم مات.

الوهابيُّون عندما انطلقوا هذا المنطلق فعملوا على ألاّ تُخلقَ لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عظمة في النفوس كيف تَجنّوْا عليه، وكيف أصبحوا هم في أنفسهم أجلافاً، غلاظاً، قساة، ترى (المطوّع) فعلاً، أليس المطوّع معناه: هو رجل الدِّين الذي عادةً قد يكون يبرز على ملامحه سيماء الدِّين والتقوى والخلق الحسن واللطف واللين والبشاشة؛ لأنه يجب أن يتحلى بأخلاق يقتبسُها مِن عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي قال الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(القلم:٤)؟ تجدُهم هناك جُفاة، غِلاظاً، قساة، مَن مِنكم رأى (مطوّع) ينشدّ إليه قلبُه ويرتاح له كل مَن راحوا يعملون هناك أو حَجُّوا؟ تراه فترى ظُلْمَة، ترى جفوة، ترى قسوة، ترى غلظة، ترى جفاء، أليس كذلك؟ أحياناً أرى ـ فعلاً ـ مطوّعاً وأرى شخصاً آخر بدون لِحْيَة، ويبدو لي هذا إنساناً دَمْثاً لطيفاً عليه سيماء هدوءٍ ورزانة، ولين، ترى أنك قريبٌ له، تراه طبيعيًّا بالنسبة لك، وذلك المطوّع تراه مُظْلِماً في شكله، في كلامه، في حركاته.

تراهم عند قبة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يحاولون ألاّ يظهر في أوساط الزائرين له ما يكشف عن تعظيمهم له؛ لأن التعظيم أصبح في نظرهم شِرْكاً، التعظيم الذي هو الغاية التي تُرَاد مِن خلال ترسيخ مبدأ كمال هذا الرجل (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن نُجِلّه، أن نحترمه، أن نعظمه، أن نقدّره، أن نذوب في ولائنا له. يركلون الناس بأقدامهم متى وقف شخصٌ يريد أن يمسح ويُقبِّل حَجَراً متصلة بتربةٍ لها علاقة ـ على بُعْد أمتار ـ بجسد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليس هذا يعني أنه يحبه، ومنشدّ إليه؟ هؤلاء بجفوتهم، بغلظتهم، بوحشيتهم عند قبره يركلون الناس بأقدامهم؛ لأنهم تربَّوْا على ماذا؟ على مسح الشعور بأنه عظيم.

من هذا نعرف بدءًا مِن الله سبحانه وتعالى كيف قدَّم نفسه لنا، وارجعوا أنتم إلى الآيات التي تذكر صفات الله وملكه وكل الأسماء التي تدل على كماله المطلق سبحانه وتعالى، ثم كيف بالنسبة لرسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تجد أن المسألة هي مسألة ترسيخ كمال، لِمَا لترسيخ هذا المبدأ من أثر مهم في نفس كل إنسان وفي الأمة بكلها.

نأتي إلى علي (عليه السلام) ونأتي إلى هذه الآية نفسها هل قال: ومن يتول الله ومحمداً وعليًّا؟ قال: ﴿وَرَسُولَهُ﴾ ألم يُقدِّم محمداً بصفته رسولاً؟ قدَّم عليًّا بالأسلوب نفسه، قدَّمه باسم الإيمان، ويتحدث عن صفتين مهمتين فيه هما تمثلان العلاقة بالله سبحانه وتعالى في أسمى ما هي عليه، والعلاقة بالناس في الجانب الآخر، وهذا هو مما تلمسه كثيراً عندما ترى بعض صفات المتقين تُعرَض في مقام ولا تذكر صفات أخرى، وفي مقام آخر تذكر تلك الصفات ولا تذكر صفات أخرى وهكذا؛ لأنه يذكر ما له أهمية متعلقة بالموضوع في الأمر الذي سياقُ الآيات حولَه، فهنا تبدو أهمية ـ وانسجاماً مع هذا المبدأ الإلهي المهم ـ ترسيخ مبدأ الكمال، مبدأ التكامل، فلم يذكر عليًّا (عليه السلام) باسمه كما لم يذكر محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) باسمه في الآية نفسها، يذكره بماذا؟ بصفته التي هي صفة كمال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ لاحظوا كيف كرَّر صفات كمال ليقدمه إلينا عظيماً، لو أتى بكلمة (علي) مكررة لَمَا أفادتنا أكثر من اسم (علي).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(المائدة:٥٥) الصلاة، أليست خير الأعمال؟ الصلاة فيما تعطيه من آثارها المهمة في العلاقة بالله سبحانه وتعالى وفي ميدان العمل في الحياة بكلها، تعتبَر فعلاً خير الأعمال؛ لأثرها الكبير، أثرها المهم فيما تحتويه من دلالات مهمة، فيما تعطيه من إشارات مهمة، فيما

تترك من آثار مهمة. ألسنا ننادي في الأذان (حي على الفلاح، حي على خير العمل) هل هناك عبادة أخرى يُنادى لها بهذا النداء إلاّ الصلاة؟ حي على الفلاح، حي على خير العمل. والصلاة متى ما أُدِّيَتْ قَيِّمَةً ذات قيمة ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ ليست ركوعاً وسجوداً أجوفَ، بل ركوعاً وسجوداً باتجاهٍ، بإقبالٍ، بخشوع، بفهم لمعاني الصلاة، لآثار الصلاة، لأهمية الصلاة التي نحن ننادي بأنها خير الأعمال، ووصفها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في حديث صحيح عنه: ((خير أعمالكم الصلاة)) ألم يكن المصلون كثيرين؟ لكن ما أقل من يقيمون الصلاة!

كيف نعرف بأننا لا نقيم الصلاة؟ أننا نصلي والكثير يصلي ولو التفت التفاتة بسيطة إلى ما تعنيه تلك الأذكار في الصلاة وتلك السورة التي يجب قراءتها في الصلاة، وذلك القيام، وذلك الركوع، وذلك الاصطفاف صفاً واحداً، خلف إمام واحد، وفي مكان واحد، واتجاه واحد، لو حصلت التفاتة بسيطة منا ـ ونحن نصلي كل يوم خمس مرات ـ لتركت أثرها الكبير في نفوسنا، ولكانت مفتاحاً لكثير من أبواب الهداية أمام قلوبنا.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الزكاة: تعني هنا الصدقة. الزكاة في القرآن الكريم تُستعمَل بمعنى الصدقة النافلة، وتستعمَل الصدقة أيضاً بمعنى الزكاة التي أصبحت عَلَماً على النسبة المحدّدة من المال المفروضة المرتبطة بعين المال، وإلاّ فكلها تسمى زكاة باعتبار أن الصدقة من حيث هي زكاة للنفوس وزكاة للمال.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أدّى الزكاة، أي: تصدّق بماله أثناء ركوعه، وتُقدمه بما هو أهم من أن يُذكر باسمه في مقام ترسيخ النظرة إليه كإنسان كامل نرتبط به، وهذا هو ما افتقده السُّنية عندما لم يرتبطوا بعلي عليه السلام لماذا؟ لأنهم اعتبروا أن ذلك الآخر هو أكمل منه، ألم يقولوا بأن أبا بكر أفضل من علي؟ فهم ارتبطوا بمن؟ بأبي بكر بعد أن جعلوه الأفضل، لَمَّا لم ينظروا إلى علي عليه السلام ويلحظوا كماله ويؤمنوا بكماله لم يفدهم اسم (علي) هل أفادهم اسم علي؟ لَمَّا فقدوا الارتباط بعلي باعتبار كماله فقدوا ما كان يُعطيهم الارتباط به، ولم يعد اسمه ينفعُهم، بل جعلوه رابعَهم وقدَّموا عليه أبا بكر، قدَّموا عليه عُمر، قدَّموا عليه عثمان؛ لأنه أصبح (علي، علي، علي) في نفوسهم هكذا. أصبحوا ينظرون إليه (علي، علي) نزلوه المرَّة الأولى، المرَّة الثانية، المرَّة الثالثة، ولولا أن الآخرين حالوا لربما جاء شَخْصٌ آخر ونزلوه "لَمَا البادي مِن الخلافة تجي له بأيِّ طريقة"[1].

أليس اسم علي معروفاً لدينا ولديهم؟ ما الفارق بيننا وبينهم؟ هو أننا نظرنا إلى علي كرجل كامل، هو أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو أكمل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو من رباه القرآن ومحمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وكان جديراً بتلقي تلك التربية المهمة، نحن ننظر إليه كإنسان كامل أم أننا فقط نحن الذين عرفنا اسم (علي) والآخرون لم يعرفوا اسم (علي)؟ هم يعرفون اسم (علي) أليسوا يقولون هكذا: أبو بكر، عُمر، عثمان، علي؟ لكن ما الذي جعلنا نختلف عنهم وفَرَق بيننا وبينهم؟ هو أنهم لم ينظروا إلى علي عليه السلام كرجل كامل، كشخص كامل اختاره الله ليكون عَلَماً للأمة بعد نبيه، فمِن هنا يظهر لنا فعلاً أثر النظرة لهذا الشخص الذي ترتبط به باعتبار كماله، أمّا إذا لم تعتبره كاملاً فسيصبح لديك مجرد اسم على جسد، حبر على ورق كما يقولون.

ماذا يوجد في هذا من كمال أيضاً؟ كنت أتصفح كتاباً للسيد محمد حسين فضل الله؛ فجاءت لي فائدة مهمة في هذا الموضوع قال فيها: أنْ يتصدَّق علي بخاتمه وهو يصلي تدلنا على جدارته العظيمة بأن يقود الأمة؛ لأنه هو مَن يهتم بها، مَن يؤلمه فقيرٌ واحدٌ منها فلا ينصرف وهو في مقام التوجُّه نحو الله سبحانه وتعالى، ويقول: "خلاص، احنا مصلّين ما هو وقتك" فلا ينصرف بعيداً عن ذلك الفقير، بل تهمُّه قضيتُه، ويُعالج مشكلته كفقير يسأل، فيتصدّق بخاتمه وهو يصلي، هذا هو مَن يهمه أمر الأمة، هذا مَن هو حريصٌ على الأمة ورحيمٌ بها وحريصٌ عليها وشفيق بها، هذا هو الجدير بأن يتزعَّم الأمة ويقودها.

ما أكثر الذين يقولون: (لَسْنا في واديك، نحن في وادي عبادة، هذا أفضل، هذا أحسن)! أليس عليٌّ عليه السلام ممن يقيم الصلاة وهو يصلي؟ لكن وهو يصلي يفهم أن الدِّين أعمالٌ متكاملة وتوجُّهٌ نحو الله سبحانه وتعالى، له علاقته المهمة في نظرتي الحسنة واهتمامي بالآخرين، ومِن أبرز مَن أهتمُّ بهم ويهمُّني أمرُهم: الضعفاء والمساكين وفقراء الأمة، فهو هنا لم يقل: "أنا في عبادة هي خير الأعمال، بعدين، رُحْ لَك". يهمُّه أمرُه، ويقلقه

---

(١) البادي ...: هذه العبارة من اللهجة العامية، وتعني: أن حصول الشيء ليس مطلوباً على وجه السرعة بل في أي وقت كان.

وهو داخل الصلاة لأنه لم يلحظ أن أحداً أعطاه شيئاً؛ فيؤشر له بخاتمه وهو أثناء ركوعه، فيأتي هذا الفقير ويأخذ الخاتم من يده.

لاحظوا كيف قدَّم لنا أعماق علي، ألم يُقدِّم لنا أعماق نفسية الإمام علي عليه السلام بأنه الشخص الذي يهمُّه أمرُ كل شخص في هذه الأمة؟ فكان هذا من أبرز كماله أن يُقدِّم لنا عليًّا باعتباره كاملاً، وهذا هو شيءٌ مما يمشي عليه الناس، وسُنّة يسير عليها الناس حتى في أعمالهم الخاصة، أنت عندما تقول: أريد (معلّم) يعمل كذا أقول لك: فلان، أليس سيجول في تفكيرك صفاتُ كمال أو عدمها، عنده خِبرة، هو جدير بكذا أو لا؟ أليس هذا الذي سيحصل؟ عندما يقال: جاء محافظ هل سيهمُّني اسمه أم يهمُّني أن أتساءل عن كماله؟ (عسى أن يكون رجلاً جيداً، عسى ـ إن شاء الله ـ أن يكون باهراً يهتم بالناس ويعطينا كذا وكذا) أليس يحصل هكذا؟

مدير ناحية، الشيء نفسه، هل يهمك اسمه أو يهمك أن تعرف الكمال الذي هو عليه، ما لديه من مقوِّمات تجعله أهلاً لأن يَلِيَ أمرنا ويدير منطقتنا؟ أليس هذا الذي يحصل؟ يأتي حاكم، الشيء نفسه، أنت في شريعة فيُقال لك: فلان وكّلْه، ما الذي سيطلع في نفسك؟ هل هو جدير بهذه المهمة ولديه خبرة ولديه معرفة، و، و... إلخ؟ أليس هذا الذي يحصل؟ عامل يشتغل في مزرعتك، ما الذي سيحصل؟ يهمُّك اسمُه فقط أم يهمُّك أنه ناصح ويشتغل بجد، وماهر في العمل؟ هذه سُنة من سُنن الحياة إذا فهمناها نحن نعملها، ونحن ننظر إلى الكمال في كل شخص حتى وأنت تبحث لك عن زوجة، أليس كذلك؟ هل يهمُّك اسم الزوجة التي تريد أن تتزوجها فتقول: أريد أن يكون اسمها (مريم) لا يكون اسمها (عَلْوَة) يكون اسمها كذا؟ لا. يهمُّك أن تعرف صفاتها: عسى أن تكون جيدة، عسى أن تكون طبيعتها جيدة، أريد أن تكون كذا، وأن تكون كذا، أليس الإنسان يبحث عن صفات كمال؟ هكذا يرسِّخ الله هذا المبدأ الذي هو مبدأ مهم.

فعندما يربطنا بعلي عليه السلام يربطنا بعلي من باب تقديم علي كرجل كامل جدير بأن نرتبط به، وهو من يصلح أن نتولاه هو الذي هو ـ إذا كنا ناصحين لأنفسنا ـ الجدير بأن نتولاه، وأن يكون هو باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وهو الباب الذي منه ندخل إلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

يقول لك: لماذا لم يذكر (علي) حتى يكون النص صريحاً؟ هذه هي من سلبيات (أصول الفقه) التي دائماً نصيح منها، من سلبيات أصول الفقه الرهيبة التي تصرفك عن النظر إلى الأشياء من منظار الهداية (أريد أن يقول لي فلان حتى يكون نصاً صريحاً يلزمني) يا أخي القرآن كتاب هداية، الدِّين كله هداية، أعماله كلها هداية حتى عندما ينصب لك محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الرسول هو هداية، والقرآن هداية، وعلي هداية، وكل شيء في هذا الكون هو يخاطبك بمنطق الهداية. يريد نصاً صريحاً يأتي باسمه (علي)!

أن يرتبط الناس فقط بمجرَّد اسم تأتي إشكاليات أخرى فينسون الكمال، هو ما ضرَبنا وضرَب أهل السُّنة، وضرَبنا الآن كلنا، أننا لم نعد نلحظ ضرورة أن يكون من يَلي أمرنا رجلاً كاملاً. وعندما ننظر إلى كماله ننظر بالمعيار الدِّيني بالمعيار الإلهي ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أليس هذا تقديماً لهم بمقامات دينية وصفات دينية؟ (تَصَدَّق) لماذا لم يقل: (والذين آمنوا الذي سيقدِّم لك مشاريع ويعمل لك مشاريع ويعمل لك (إسفلت) ويعمل لك كهرباء ويعمل لك). هل قال هكذا؟

من تتوفر فيه الصفات الدِّينية باعتبار الدِّين هو هدى للناس، من يهمه أمر فقير هو من سيهمه أمر الأمة كلها فيعمل على أن يوفر لها ويؤثرها على نفسه في جميع شؤون حياتها، على يد مثل هذا يتحقق بناء الأمة، تأتي المشاريع، تأتي الخدمات على أرقى ما تكون عليه، والواقع يشهد بهذا.

الإمام الخميني عندما جاء ـ وهو رجل من هذا النوع (يقيم الصلاة) رجلٌ كماله كمالٌ دينيٌّ، كمالٌ على وفق هدى الله سبحانه وتعالى ـ ما الذي حصل في إيران؟ كان في أيام مَلِك إيران الذي يسمى (شاه إيران) حكم إيران فترة طويلة، وفي أثناء فترته ودولته ـ وكانت إيران تنتج نحو خمسة ملايين برميل في اليوم الواحد ـ كانت أحياءٌ كثيرةٌ من (طهران) العاصمة لا تزال بغير ماء ولا كهرباء ولا نظافة ولا أيّ خدمات أخرى، كانت الخطوط في إيران ليست أكثر من أربعة عشر ألف كيلو، بعد الثورة الإسلامية ماذا حصل؟ وتحت قيادة هذا الرجل الدِّيني الذي يفهم الدِّين أيضاً، وليس رجلاً دينياً ممن يفهم الدِّين فهماً قاصراً بعيداً عن الحياة، جاء، ما الذي عمل في خلال سنوات محدودة؟ أربعين ألف كيلو متر من الخطوط مقابل أربعة عشر ألف كيلو في فترة قصيرة، يبني

المستشفيات، يبني الجسور، يبني السدود، يبني المصانع، المزارع، المدارس، الكهرباء، التلفون.

ونحن نزور في إيران متجهين إلى منطقة في شمال إيران اسمها (آمُل) ومعنا أشخاص إيرانيون ونحن نرى الكهرباء وكل الخدمات أمامنا للقرى ـ ألسنا هنا نطالب لمنطقة بأكملها ويعطوننا مشروعاً واحداً فقط بعد ست سنين سبع سنين من المتابعة ـ هناك هم ينزلون بأنفسهم إلى القرى ليوفروا لكل قرية الخدمات التي تحتاجها: صحة، وكهرباء، ومياه، ومدارس، وطرقات كلها متوفرة، واهتمام بالمزارعين، قلنا لماذا؟ قالوا: نريد أن يتوفر لأهل الأرياف كما يتوفر لأهل المدن فيظلوا في بيوتهم متوفراً لهم كل أسباب الحياة، فيهتموا بالزراعة ويهتموا بكل شيء، ويعيشوا كما يعيش الآخرون، ولأننا بهذا العمل نواجه خطة خبيثة لليهود هم يحاولون أن تنهض المدن فقط، أن تنهض المدن من أجل أن يترك الناس الأرياف ويتجهوا إلى المدن وهذا هو ما يحصل، لاحظ صنعاء قبل عشر سنوات، الآن ادخل صنعاء ترى أحياء كثيرة تُبنى بطريقة عشوائية، وهذا من (أرحب) وهذا من (ريمة) وهذا من (صعدة) وهذا من (تعز) وهذا من (حجة) وهذا... زحمة مهاجرين من الأرياف إليها قالوا: إن هذه خطة مقصودة من خطط اليهود الغربيين من أجل أن يزدحم الناس في المدن، وازدحام الناس في المدن سيعطل الأرياف، وهي المساحات الكبرى في الشعوب؛ فتتعطل الزراعة، ويتعطل كل شيء.

ثم عندما يتجهون إلى المدن بحثاً عن ماذا؟ يريدون (لَدَيْنا كهرباء ولَدَيْنا تلفون، ومستشفى قريب) أليس هكذا بحثاً عن الخدمات؟ طيّب، ما الذي يحصل في المدن؟ في المدن يتجمَّعُ الناس بأعداد كبيرة ولا يكون بينهم أيُّ علاقات ولا روابط، بيت عند بيت ولا أحد يلتفت إلى أحد، ولا أحد يسأل عن أحد، شقة فيها ناس وشقة فيها ناس آخرون وشقة هنا، لا يتعارفون في الغالب، ولا يدري هذا من أين هذا، ولا لهذا علاقة بهذا، فيتجمع المسلمون تجمعات تتفكك بينهم كل العلاقات الأخوية والإسلامية، ويتجمعون في تجمعات ثم يبدأ الفساد ينتشر داخل المدن بهذه الأعداد الهائلة التي تتوافد بأعداد كبيرة بدون تنظيم وبدون رعاية وبدون اهتمام؛ فيظهر الفساد الكبير داخل المدن، فساد في الحياة العامة، فساد في الأخلاق، فساد في كل شيء، يعيشون هناك فيرون (لا بُد أن يبحث كيف يحصل على المال) لأن المدينة تتطلب حياة أخرى تريد أموالاً كثيرة، يبحث له عن وظيفة بأي طريقة، متى ما توظف أصبح مُختلِساً؛ لأنه يريد أموالاً كثيرة، أليس هنا يُضحِّي بأخلاقه، ويُضحِّي بدينه من أجل محاولة إشباع متطلبات الحياة في المدينة؟ لكن عندما كان في الريف كانت عنده مزرعة، وعنده كثير من الخضروات التي يزرعها، ومعه بقر ومعه دجاج ومعه أغنام ومعه كذا.. أشياء كثيرة تتوفر له فيبقى محافظاً على نزاهته، على دينه، على أمانته، على قيمه، لكن في المدينة يفقد هذه كلها، ويصبح همه المال، لا يوجد هنا أي شيء في المدينة إلا بمال كما يقولون: (صنعاء شمسها بفلوس) ولم توفر الخدمات حتى في المدن ناهيك عن الأرياف في شعوبنا هذه.

هناك في إيران أبدوا اهتماماً كبيراً ورعاية كبيرة للناس في كل منطقة؛ لأنهم مَن يحمل هذه الروحية: فيهمه أمر فقير وهو أثناء الصلاة، وهي خير الأعمال، لم يقل: "إيش باتجي صدقة أعطيه خاتمي وأنا أسبِّحُ الله داخل الصلاة؟ أليست هذه أثوَب؟"[1] لا. وهذا، وهذا؛ لأن الصلاة هي من أجل أمثال هذا، الصلاة هي من أجل هذا الفقير وأمثاله من المستضعفين من عباد الله. فمَن يهمُّه فقير، مَن يهمُّه مستضعف، مَن يهمُّه أمر المواطنين وأبناء أمته ودينه ماذا سيعمل؟ سواءً كان فقيراً في المدينة أو في الريف أو في أي منطقة؟ سيوفر له خدمات وتحت يديه أن يوفر في أيّ منطقة كان.

الإمام الخميني الذي كان لا يملك إلاّ (البشت) حقه كما يقولون (الدّجْلة)[2] حقه كان هذا هو ما يملكه وممتلكاته بسيطة، لكنه قدَّم للفقراء ما جعلهم يعيشون عيشة أرفه من حياته فعلاً. اقرؤوا كتاب (مدافع آيات الله) لكاتب مصري (محمد حسنين هيكل) وهو يتحدث عن بيت الإمام الخميني الذي دخله، عن مطبخه وعن ثلاجته وعن أكله وعن ممتلكاته البسيطة بالنسبة له، لكنه قدَّم الخدمات للآخرين بشكل رهيب؛ لأنه كروحية علي عليه السلام الذي كان يأكل ما يتيسَّرُ له، ويَهمُّه أمْرُ الفقراء، وأوصى ولاة أمور المسلمين بأن عليهم أن يقيسوا أنفسهم بفقراء الناس، أن تعيش كما يعيش فقراء الناس، تحاول أن ترفع بالفقراء إلى مستواك، أو تعيش

---

(١) إيش باتجي: هذه العِبَارَةُ مِنَ اللَّهْجَةِ العَامِّيَّة، وَتَعْني: مَاذَا سَتُفِيد؟ أَوْ مَا مِقْدَارُهَا؟ وأَثْوَبُ تَعْني: أَكْثَر ثَوَابًا.

(٢) البِشْت (الدَّجْلَةُ): عَبَاءَةٌ رِجَالِيَّةٌ يَلْبَسُهَا الرَّجُلُ فَوْقَ ثِيَابِهِ، وَاسْتُخْدِمَ هَذَا الاسْمُ (البِشْت) مَحَلَّ الكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى وَهِيَ (العَبَاءَة).

بعيشتهم، لا تَلِي أمرَهم ثم تعيش في ترَف، في قصور فخمة، وممتلكات فخمة والناس الفقراء المساكين هناك يعانون من شظف الحياة وصعوبة الحياة لا يتوفر لهم جزءٌ مما يتوفر لك، قال: (حتى لا يَتَبَيَّغَ بالفقير فَقْرُه)[1]. الفقير يتألم عندما يرى الكبير (ولي أمر) عندما يرى رئيساً، عندما يرى مسؤولاً، أرى أين حياته وأرى أين أنا، أرى أولاده في العيد وأرى أولادي في العيد، أرى زوجتي وهي تتجه إلى أسواق (البَالَة)[2] تشتري ملابس لأولادي في العيد، وهو يُرسِل بنته أو زوجته أو خادم زوجته إلى أرقى معارض عرض الأزياء ليشتري الفساتين الفخمة والأحذية الفخمة.

هكذا حاصروا الناس، أسواق (البالة) في صنعاء وفي كل مكان، أصبحنا شعباً تتلقى البالة في كل شيء، سيارات مستعملة من كوريا تدخل اليمن بالة، كفرات[3] بالة، أحذية بالة، ملابس، كل شيء أصبح بالة، وهناك معارض للأزياء الفخمة، وهناك معارض للسيارات الفخمة إلى أين تتجه هذه؟ وإلى أين تتجه هذه؟ انظر إلى الأسواق، ادخلْ تلك المعارض، ثم ادخل هذه المعارض معارض البالة ومعارض الأزياء الفخمة، والأحذية الفخمة تجد من يرتادها، هنا يحس الفقير بوطأة الفقر، يحس بالألم، وذلك لا يبالي، ولا يهتم، ولا يفكّر، ينسى أنّ في الدنيا ناساً.

الإمام الخميني الذي كان لا يملك إلاّ ممتلكات بسيطة جداً كوَّن جيشاً بأكمله سماه جيش (جهاد البناء) هناك جيش مجاهدين يحملون البنادق والبوازيك، وفي الدبابات وفي الطائرات، وكوَّن جيشاً يحمل المطارِق و (الفِرَس والكُرَيكات) ومفاتيح الهندسة ويقودون الحرَّاثات، ويقودون مختلف الآلات الثقيلة لعمل الجسور، وعمل السدود، وبناء المصانع، وبناء المدن، جيشاً بأكمله سماه (جهاد البناء).

كنا نقول قفزة كبيرة أصبح يقال: (مجالس محلية) وسيُوكل إلى هذا المجلس المحلي أن يهتم بخدمات المنطقة ويهتم بحاجات المنطقة، ونرى كيف واقعنا، مجلس محلي لا يمتلك ما يُؤَثِّث به مكاتبه، ثم يقال للناس: نحن قد جعلْنا صلاحية مُطْلقة للمجالس المحلية، وأوكلنا إليها الاهتمام بخدمات الناس وحل مشاكلهم، و، و...إلخ. مهام جميلة لكن ما الذي أعطيتم المجالس المحلية حتى تكون قادرة على أن تنهض بهذه المسؤولية؟ أين المقاييس الإلهية التي وضعتموها في الأشخاص الذين لا بُد أن يكونوا هم من يصلون إلى المجالس المحلية حتى يكونوا جديرين بتوفير الخدمات للناس؟ لا شيء من هذا. لنعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى عرض الصفات المهمة التي على يديها تسعد الأمة، على يديها تسعد الحياة، على يديها تزكو النفوس وتزكو الحياة بأكملها.

وكما قلنا في هذا العصر تقريباً لا تتحدث عن شيء إلاّ وتجد الشواهد عليه في مختلف المجالات، شواهد نعرفها جميعاً، عندما يأتي (المترشحون) سواءً لرئاسة الجمهورية أو لعضوية مجلس النواب أو للمجالس المحلية أليس المترشحون كلٌّ منهم يحاول أن يخاطبنا بأنه سيفعل، وسيعمل، وسأعمل لكم كذا، ونفعل لكم كذا، مدارس ومستشفيات، وخطوط، وأشياء من هذه؟ أليسوا كلهم يتحدثون بهذا المنطق؟ هذه نفسها هي مطالب للحياة لكن نحن نريد على يد مَن تتحقق مثل هذه بصدق؟ على يد مَن ستتحقق؟ على يد مَن يهمُّه أمرنا، نحن مسلمون مَن الذي يهمُّه أمرنا؟ هو مَن يمتلك مُقوِّمات إلهية مثل هذه، من يمتلك مبادئ مترسِّخة في أعماق روحه في أعماق نفسيته فتجعله مهتماً بأمر المسلمين، مهتماً بضعفاء المسلمين مهتماً بالأمة بأكملها.

سنُخدع لأنهم يخاطبوننا كما يخاطب الصياد السمك، ما الذي يعمل الصياد للسمكة؟ أليس يقدِّم لها لَحْماً؟ يقدِّم لحماً يقدِّم لها طعاماً، ويرسل الشبكة إلى هناك فتلتف حوله السمك، ألم يقل للسمك: أنا أعطيكم طعاماً، أعطيكم لحماً أعطيكم... أفضل من أن تبحث عن عشب من أعشاب البحر تأكلها؟ نحن سنعطيك لحماً هي هذه، فتلتف السمك حوله فمن وقع في شراكه يأكله هو، هذا الذي يحصل، تقع في شراك هؤلاء فيأكلونك، ولكن بأساليب متعددة، ما الدليل على أنه يأكلني؟ أنه عندما يطلع أراه بعد فترة وإذا لديه سيارات فخمة، وقصور فخمة، وممتلكات كبيرة وكان جندياً مسكيناً، ثم يتحول إلى تاجر صاحب رأس مال كبير؛ فعرفت أنه هو أصبح كذلك الصيادِ الذي قد سَمُنَ وأصبح جسمه كبيراً من خلال ماذا؟ وهو يأكل أسماكاً، تلك الأسماك التي تتجه نحو

---

(١) هَذِهِ العِبَارَةُ مِنْ كَلاَمِ الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب عليه السلام وَتَعْنِي: حَتَّى لاَ يَغْلِبَ الفَقِيرَ فَقْرُهُ وَيَحْمِلُهُ عَلَى الشَّرِّ. شَرْح نَهْج البلاغة ٢٣٧/١١.

(٢) أَسْوَاقُ البَالَة: هِيَ التي تَبِيعُ الأَشْيَاءَ المُسْتَعْمَلَة.

(٣) كَفَرَات: مِنَ اللَّهْجَةِ العَامِّيَّة، وَتَعْنِي: إِطَارَات السَّيَّارَات وَغَيْرِها.

الشراك نحو شبكته التي فيها قطعة لحم من عجل تبدو للسمك جميلة ولذيذة لأنها لا تعرف مثلها في البحر.

لهذا لَمّا كانت هذه القضية هامة أن الناس يُخدَعون بمثل هذه الأشياء الإمام الخميني جاء بكلمة مهمة قال: (يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية) هي هذه المعايير الإلهية التي قُدِّمَت هنا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ شخص يهمه أمركم، حتى الواحد منكم وإن كان داخل أهم عبادة من العبادات لا ينشغل عنكم. لأن ما يُقدَّم لنا في الانتخابات وفي تنميق الآخرين لأنفسهم لدينا ما هي؟ هي معايير ليست إلهية، بل معايير مادية، هي ليست أكثر من تقديم قطعة لحم لسمك لتُؤكل هي، نقول: تمام. ثم نرى في الأخير أنه حتى ولا وعد واحد يحققه من الوعود التي وعد بها: إن شاء الله في عام ١٩٨٦م كما قال (علي عبد الله) يوم زار صعدة ستكون صعدة كلها شبكة واحدة بالكهرباء. (٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١..) ونحن لنا كم؟ سبع سنوات متابعين في كهرباء لمنطقة، سبع سنوات، قضينا سبع سنوات نتابع في الكهرباء.

يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية، هذه هي في حد ذاتها تستدعي لها وقتاً طويلاً نتفهَّم جميعاً كيف يجب علينا أن تكون معاييرنا إلهية في مختلف الأشياء حتى لا نُخدَع؛ لأن فرعون إنما خدع قومه في مواجهة موسى عليه السلام بمعايير مادية ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ مسكين ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾(الزخرف:٥١-٥٣) أليست هذه كلها مظاهر مادية؟ أن يكون معه حاشية وخدم وموكب مثل ما معي، يكون معه موكب من الملائكة، وأساور من ذهب وأشياء من هذه، هكذا يُخدَع الناس دائماً بالمعايير المادية، التي هي في حد ذاتها لا يُعطى إلاّ القليل منها على أيدي مَن يخدعوننا بها أو يُنمِّقون أنفسهم أمامنا بالحديث عنها.

متى ما كانت المعايير التي نتعامل من خلالها مع الآخرين معايير إلهية فسيتحقق على يد مَن لديهم مبادئ إلهية مُترسِّخة في أعماق نفوسهم، تجعل نفوسهم محطاً لأن يهتمُّوا بالآخرين وإن لم يكونوا يعرفون الآخرين ولا يعرف الآخرون أسماءهم ولا أشكالهم.

لاحظوا، الإمام عليًّا عليه السلام هو آتى الزكاة وهو راكع؟ هل هو يتلفت إلى الفقير ويعرف مَن هو، أو الفقير نفسه يعرف مَن هو هذا؟ أليست هذه هي في حد ذاتها تُبيِّن لنا: أن هذا أحياناً قد يُقدِّم لك خدمة لأنه يعرفك وتعرفه معرفة فيستحي منك أن تعرفه ثم لا يعطيك شيئاً، علي عليه السلام وهو أثناء الركوع ميزة أكثر من لو أعطاه وهو أثناء القيام، لو تعرَّض له الفقير وهو أثناء القيام في الصلاة ربما لاتجه الفقير إليه لمعرفة ملامحه ربما يكون لديه شيءٌ، أو ربما رأى الفقير فرأى حالته الرثة فأشفق عليه، لكن لا. هو في حالة الركوع وعادةً يكون الإنسان الذي يركع لا يُبصر إلاّ الأرض، سمع بفقير يسأل، هذا الفقير لا يراه وهو لا يراه فيؤشر بإصبعه إليه ليأخذ خاتمه. هكذا يكون مَن نلحظ فيهم أن تكون نظرتنا إليهم من منطلق المعايير الإلهية، التكامل الإلهي من خلال ما ترسَّخ في نفوسهم من قيم الإسلام ومبادئه، هم مَن سيهتمُّون بمن لا يعرفهم ولا يعرفونه.

ألسنا نقول دائماً: ابحث لك عن وساطة؟ ما معنى وساطة؟ أي شخص يعرف فلاناً ويعرفه فلان أليست هكذا؟ من أجل يمكن أن تحصل على كذا، يمكن أنه يسهل لك معاملة المشروع الفلاني، ابحث لك عن وسيط. ما معنى وسيط؟ أليس معنى الوَسيط أن هذا يعرف هذا؟ هي هذه. الإمام الخميني اهتم بمن لا يعرفهم، وبمن لا يعرفون ربما إلاّ صوره بعدما صعد، اهتم بهم فملأ إيران بالمشاريع في مختلف المجالات، وأصبحت إيران تكاد تشرف على أن تكون دولة صناعية، أصبحت تنتج إلى مختلف البلدان إنتاجات كثيرة، تصدّر حتى السيارات، ترى شوارع (طهران) كلها سيارات من صناعة محلية، لا ترى سيارات يابانية أو كورية إلاّ نادراً، ترى كل ذلك السيل الذي يظهر أمامك في الشوارع كله سيارات إيرانية، ونحن كنا ـ زمان ـ نحرث على ثَوْرَيْنِ وكان هذا المظهر يقدَّم مظهراً متخلفاً أمام الحرّاثة، ثم نقص ثور، ثم غاب الثور، وطلع بدله حمار.

﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ثم هؤلاء على أيديهم هم. لاحظوا، متى ما كانت قيادة الناس من هذا النوع فهم من يعرفون كيف يبنون الأمة لتصبح فعلاً أمة قوية، ما الذي يحصل في البلدان العربية؟ أليس الزعماء يُقدِّمون أنفسهم هم ـ فقط ـ أمامنا كأقوياء، لكن لم يقدمونا كأمة قوية أمام الآخرين فلا يعملون أيَّ عمل يسهم في أن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين.

إيران فتحت المعسكرات للتدريب رجالاً ونساء، اهتمَّت ببناء الاقتصاد في مختلف مجالاته، التعليم في مختلف

مجالاته، احتاجوا ثورة علمية مِن جديد، ثورة مِن جديد بعدما انتصرت الثورة الإسلامية ليعيدوا المناهج ويجعلوها بالشكل الذي يفيد.

نحن لا نجد في واقعنا أيَّ شيء يُؤهِّلنا لأن نكون أمة قوية في مواجهة الآخرين، أي: نحن لا نجد مَن يبنينا بناءً لنكون حزب الله؛ لأنه لا يمكن أن يبني أمة لتكون حزب الله التي تقهر الآخرين من أعدائها إذا لم يكن هو ممَّن يمثل (رقم واحد) داخل ولاية الله ورسوله، ممَّن يمثل (رقم واحد) داخل حزب الله. أعضاء حزب الشيطان لا يمكن أن يبنوا أعضاءً في حزب الله، لا يمكن، إنما يبني حزب الله مَن هو يحمل الأرقام الأولى في بطاقات حزب الله.

في (بغداد) ترى في منعطف الطريق هنا وهناك في الصحراء صورة كبيرة (للسيد الرئيس) صورة كبيرة جداً، وعليها شبك مكّلف و(ماطور) كهرباء خاص، وكشافات فوقها هناك في الصحراء.

ترى الشخص الذي يمكن على يديه فعلاً أن تُبْنَى الأمة بناءَ أمةٍ عظيمة، وهكذا مَن يكون على هذا النحو هم من يبنون الأمم العظيمة، فأين إيران الآن عن إيران قبل الثورة الإسلامية بفارق بسيط هو أقل من عمر مَلِك واحد ممن سادوها وحكموها قبل الثورة الإسلامية؟ أليس هؤلاء هم من يبنون الحياة ويبنون الرجال ويبنون الأمم؛ لأنهم يهمهم أمر الحياة بالنسبة للناس أكثر مما تهمهم أنفسهم، هم من يهمهم أن يجعلوا الأمة قوية وعزيزة فيبنوا الأمة فتصبح أمة قوية تمثل في بنائها حزب الله.

ارجع حتى تتأكد مِن هذا إلى الأمثلة الكثيرة في واقع الحياة أمامك هنا وهناك تجد فعلاً أن ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أليس هذا الرقم الثالث: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو بداية التولّي الحقيقي لرسول الله ثم لله سبحانه وتعالى على نحو تصاعدي، التولّي للذين آمنوا تولياً صادقاً يجعلك فعلاً بالشكل الذي أنت فيه متولٍّ للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عن هذه القناة يجعلك بالشكل الصحيح الذي تكون عليه صادق الولاء لله سبحانه وتعالى.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ أي ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾: وهم خاشعون، كما يقول المفسرون الآخرون، لكن تعال اقرأها وأنت ممن يَدينُ بولاية الإمام علي (عليه السلام) كم ترى فيها من أبواب الهداية في آيةٍ واحدة، لكن إذا لم يكن أمامَك إلا أبو بكر فلا يعطيك القرآن شيئاً بكله، بل تخرج منه وأنت ضال، تجعل القرآن حرباً لله سبحانه وتعالى، تخرج وأنت تعتقد بأن الله هو مَصْدَر كل فاحشة، وكل ظلم بقضائه وقدره، تخرج منه وهو يوجب عليك طاعة أيِّ ظالم يَحكمُك أو أيِّ مجرم كيفما كان، ما لم يظهر كفراً بواحاً؛ لأنه قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(النساء:٥٩) وهذا هو ﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ هكذا يُعطي تولّي الآخرين ضربة للأمة من ذلك اليوم إلى الآن.

فمِن هنا نعرف عندما يقول الإمام الهادي رحمة الله عليه: (إنه يجب على كل مسلم أن يتولّى علي بن أبي طالب) على كل مسلم؛ لأن ولاية علي (عليه السلام) تعتبَر حصناً مُهِمًّا بالنسبة لك، هل لمجرد اسم علي؟ لا، بل لأن ولاية علي (عليه السلام) ستفتح أمامَك آفاقاً واسعة في مجال الهداية، تفتح أمامَك أبواب الهداية فتهتدي بالقرآن وتهتدي بالرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لأن: ((علي مع القرآن والقرآن مع علي)) فمِن هنا نعرف كيف كان مُهِمًّا فعلاً - باعتبار أن الإسلام هو دين يُربِّي الناس، ودين هداية للناس - أن المهم هنا جداً جداً أن يُقدَّم علي (عليه السلام) بمواصفاته، بتلك الصفات التي تُبيِّن لنا أعماق أعماق نفسه، وتُبيِّن لنا كيف اهتماماته وكيف نظرته للدِّين وللأمة ثم يأتي من يقول: (لماذا لم يذكر عليًّا باسمه؟ لو كان هو المراد لقال عليًّا) هذه نظرة قاصرة جداً تعتبَر من الأخطاء التي هي نتاج أخطاء ثقافية من هنا وهناك.

الشيء الثاني مما يمكن أن نستفيده من هذا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هو أن الأمة تحتاج إلى أعلام ترتبط بهؤلاء الأعلام هدايتها في دينها ودنياها، ولا بُد أن يكون الله سبحانه وتعالى هو من يحدد، هو من يُبيِّن لنا مَن هم الأعلام مِن بعد نبيه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لنرتبط بهم، فمِن خلالهم نهتدي، وعلى أيديهم نهتدي؛ لأن المسألة ليست مسألة مفتوحة، إذا لم يضع هو سبحانه وتعالى فالآخرون سيضعون، بل وضعوا على الرغم مِن أنه قد وضع، سيضع أهل الباطل أعلاماً لأن الباطل يحتاج إلى

أعلام، هل تعرفون هذا؟ تقريباً عندما تجد القنوات نفسها أو الأساليب مِن حيثُ هي كلها أساليب واحدة، الباطل يحتاج إلى أعلام؛ فلهذا يحتاج أهل الباطل إلى أن يُرَكِّزوا أمامَك شخصيات أو مجاميع فيُكبِّروها، ويُنمِّقوها، وينفضوا التراب عن خدودها؛ لتبدو أمامك لَمَّاعة، لتنفق بضاعتهم، فينفق الباطل، فينفق الضلال من خلالهم.

لا بُد للإنسان مِن أعلام، ومتى ما حاولتَ أن تنصرف عن علي عليه السلام فإنك ستنصرف إلى عَلَمٍ آخر لا محالة، عندما تقول: (لا، أنا لا أريد هذا ولا هذا) فأنت فعلاً ستنصرف في الأخير إلى الشيطان؛ لأنه آخر واحد. إذا تهرَّبت عن علي بن أبي طالب عليه السلام وتظن أنك: (لَسْت بحاجة: لا علي ولا أبو بكر ولا عُمر) أوَلست أنت رفضت عليًّا؟ رفضت حقاً، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال، إذا أنت فقط لم ترضَ بالضالين الصغار فهذا معناه أنك تريد الضال الكبير أن ترتبط به رأساً فقط ليست إلاّ هذه: (لا أريد معاوية ولا أبا بكر ولا عُمر ولا عثمان ولا علياً) أنت اختصرت المسافة فقط، فكأنك تقول: أنا لا أريد أن أتعامل مع هؤلاء الصغار مباشرة، أنا سأتعامل مع الكبير، تقع في أحضان الكبير بكله؛ ستجد الشيطان هناك في الأخير، هو في الآخر، في المضيق، تتهرَّب مِن هنا، أوْ لا يعجبك هذا أوْ لا يعجبك هذا؛ فأنت في طريقه لا تجد معك إلاّ هو، ليس بالإمكان أن يبقى الإنسان بدون أعلام يرتبط بهم.

فعندما نجد هذه الآيات نفسها تشهد بأنه لا يمكن أن تهتدي الأمة إلاّ على أيدي أعلام حتى تصبح بمستوى أن تكون حزب الله، أو أيَّ مجموعة؛ ولهذا جاءت العبارة بلفظ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ مَن يتولّ سواءً الأمة بكلها أو مجاميع من الأمة تولياً صادقاً على هذا النحو العملي فسيجعلون أنفسهم حزب الله فعلاً، أنهم بحاجة إلى أن يكونوا حزب الله ويكونوا غالبين لا بُد أن يرتبطوا بأعلام، فالهداية التي هي في واقع النفوس فتسلم النفوس مِن أن ترتد بعد إيمانها مِن أن توالي أعداءها لا بد لها من الارتباط بأعلام تتولاهم، وهي تهتدي في ميدان المواجهة للآخرين لا بُد أن ترتبط بأولئك الأعلام الذين وضعهم الله سبحانه وتعالى ووضعهم رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لنا مِن بعده أن نرتبط بهم؛ حتى نهتدي في ميدان المواجهة، ولهذا قال هنا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فمِن هنا نعرف كطلاب علم، ونعرف كمسلمين بصورةٍ عامة أنه لا يمكن أن تتصوَّر بأن باستطاعتك أنت شخصياً أن ترسم لك منهجاً وتسميه هداية مِن جهة نفسك، وتنطلق عليه وتظن أنك ستهتدي إذا لم ترتبط بأعلام للهدى، لا بُد من الارتباط بأعلام للهدى تتولاهم وتذوب في شخصياتهم.

وهم بالطبع مَن يضعهم الله أعلاماً لأمته إنما يضعهم كاملين ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾(القصص:٦٨) هو الذي يختار وليس لنا نحن أن نختار، هو الذي إذا آمنا بهذا المبدأ ـ مبدأ الكمال فارتبطنا بالله الكامل الكمال المطلق وارتبطنا برسوله الذي اصطفاه واختاره فأصبح كاملاً وارتبطنا على وفق هذا النهج بالكامل ـ فالله سبحانه وتعالى هو الذي سيُقدِّم لنا الكامل بدءًا مِن علي عليه السلام.

حتى مقاييس الكمال هي دقيقة جداً جداً، ليس حتى في صلاحيتي أنا أن أقول: إذاً الكمال هو كذا كذا...إلخ، سيأتي آخرون يقولون: لا، الكمال كذا هو كذا وكذا... إلخ. نثق بالله ونثق برسوله ثم نمشي على ما يهدينا إليه، والله سبحانه وتعالى هو مَن سيضع للأمة أعلاماً يختارُهم ويؤهِّلُهم ليكونوا جديرين بهداية الأمة وجديرين بقيادتها.

ألم يكن عليٌّ عليه السلام هو الرمز الواحد مِن بين كل تلك المجاميع الكثيرة التي كانت تقف أمام النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فبرز هو علَماً حتى أصبح كل شخص من أولئك ملزماً بأن يتمسَّك بذلك العَلَم ويتولاه ويهتدي بهديه ويسير على نهجه؟

هذه المسألة في حد ذاتها (الارتباط بمبدأ الكمال) هو وحده الذي يعطي الضمانة بالنسبة لنا أن تبقى المسألة بيد الله سبحانه وتعالى، أن تبقى مسألة (من هو الجدير بأن يهدينا، من هو الجدير بأن يَلِيَ أمرنا) مرتبطة بالله سبحانه وتعالى، كما قال الإمام الهادي عليه السلام: (إن الله هو الذي يختار، هو الذي يُؤهِّل).

إذا لم نعمل على مراعاة الارتباط بهذا المبدأ العظيم الذي عمل القرآن الكريم على ترسيخه في أذهاننا فسيُقدَّم لنا أشخاصٌ كثيرون، ويُقدَّم رموز كثير وهميُّون لا يعتبَرون كاملين ممن أختارهم الله سبحانه وتعالى،

وليسوا جديرين باختياره.

عندما تتحدث الزيدية في كتبهم عن شروط الإمام أليسوا يضعون شروط كمال؟ (أن يكون عالماً، وأن يكون مدبّراً، وأن يكون سليماً، وأن يكون سخياً، وأن يكون شجاعاً، تقياً، ورعاً، زاهداً، رحيماً بالأمة، وعادلاً... إلخ) ألم يضعوا شروط كمال؟ لماذا الكمال؟ ومن أين مصدر الكمال؟ لأن الكمال هو يأتي من قبل الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار، هو الذي يصطفي ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(فاطر:٣٢) الاصطفاء الإلهي يأتي دائماً في كل مقام يرتبط به سبحانه وتعالى بالنسبة لعباده. فإذا أصبحت المسألة لدينا هي على هذا النحو فمعنى ذلك أن هذا هو الضمان الذي يجعل القضية بيد الله، هو الذي يُؤهِّل، هو الذي يكمل، هو الذي يختار، فإذا نسفنا مبدأ الكمال هذا بكله ظهر على السطح الكثيرون الكثيرون جداً.

لاحظوا في قضية الإمامة، عندما يحاربون الإمامة هل تظنون بأنهم يحاربون اسم (إمامة) هذا واحد من مقاصد الصهيونية في محاربة العناوين والمفردات ـ مع أن كلمة (إمام) أطلقت في القرآن الكريم على البَرِّ والفاجر ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾(القصص:٤١) وهناك ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾(السجدة:٢٤) ـ هم حاربوا مبدأ كمال ألاّ يترسَّخ في أذهان الناس، لماذا؟ لأنه متى نسفنا هذا الكمال الذي لا بُد منه فسنصل إلى أن نحكم الناس، سأصل أنا إلى أن أحكم الناس متى ما نسفت شروط الكمال، أليس هذا هو الذي حصل؟ أليس هذا الذي يُقدَّم في كل دساتير البلدان الإسلامية: لا يُشترط في زعيم البلد الفلاني إلاّ أن يكون من الوطن نفسه، وأن يكون عمره كذا، وألاّ يكون قد صدر بحقه حكمٌ شرعيٌّ يخل بالشرف ما لم يُرَد إليه اعتباره. هذه هي الشروط فقط، أليس الكثير سيكون على هذا النحو وإن كان من الشارع، وإن كان ممن لا يهمه إلاّ مصلحة نفسه، وإن كان ممن لا يعرف كيف يدير شؤون أمة، بل ممن لا يعرف كيف يدير شؤون أسرة؟

أليست الدساتير فتحت المجال أمامهم؟ وعن أيِّ طريق؟ عن طريق نسف الكمال الذي لا بُد منه، عندما يقولون: يجب أن يكون كذا وأن يكون وأن يكون، أليست هذه معايير دينية معايير إلهية؟ لماذا نجعل المعايير إلهية؟ لنربط المسألة بالله سبحانه وتعالى وهو الذي سيصنع، هو الذي سيُؤهِّل، هو الذي سيكمل، هو الذي سيختار كما نص الإمام الهادي عليه السلام.

بل تأثرت الزيدية نفسها عندما غابت عن المعايير التي وضعها الإمام الهادي باعتبارها معايير إلهية في بداية كتاب (الأحكام) فظهر لنا أئمة حتى داخل الزيدية ليسوا جديرين بأن يحكموا الأمة، وصُدّروا في تاريخنا كأئمة من أهل البيت وليسوا كاملين ولا مُؤهَّلين، فعلاً وهم لا يزالون كثيرين في سلسلة أئمة الزيدية في كتب تاريخنا، لكن جاؤوا هم فيما بعد يجعلون مقاييس مغلوطة للكمال هذا نفسه (أن يكون عالماً، أي: أن يكون مجتهداً، ومعنى أن يكون مجتهداً أن يكون قد قرأ كذا، كذا، كذا... إلخ) ألم تصبح المقاييس مادية في الأخير؟ بينما الإمام الهادي قدَّم نحو صفحة وهو يتحدّث عن مواصفات مَن هو الأولى بولاية أمر المسلمين، صفحة كاملة، وقال في الأخير: إن الله هو الذي يؤهل على هذا النحو، إذا ارتبط الناس بالله من هذا المنطلق فهو الذي سيؤهل، لكن جئنا فيما بعد وقدَّمنا معايير مادية لنسف المعايير الإلهية؛ فانحَطَطْنا، فظهر لنا أئمة ـ فعلاً ـ كانوا ممن رسَّخ مبادئ الاختلاف داخل هذه الطائفة نفسها، وبدلاً من أن يُقدِّموا لنا علوم أهل البيت وَحْدَهم أضافوا لنا رُكاماً وركاماً من علوم الطوائف التي هي طوائف ضالة؛ فشغلوا أوقاتنا، وشغلوا بيوتنا بركام الكتب التي من هذا القبيل بدل أن ينتقوا لنا علوم القرآن الكريم وعلوم العترة الطاهرة، ركام من أقوال الآخرين تُضيع عليك سنين من عمرك، تُضيع حياتك، تُضيع وقتك، تُضيع الكثير من أعمالك.

ولنعرف أن المسألة مُهِمَّة فعلاً أنها: إمّا أن تكون ضمانة تجعل القضية بيد الله، أو أن يكون نسفها يُهيئ الواقع لتكون في متناول كل من هب ودب، أنه ما الذي يحصل؟ حتى لو قلنا: ليس شرطاً أن يكون من يلي أمر الأمة من أهل البيت تعالوا إلى الشروط الأخرى، ضعوها في الدستور لتكون هي شروطاً في مَن يلي أمر الأمة، فلن يقبلوا هذا، أتظنون أن المسألة فقط هي محاربة لأن يكون الشخص الذي يلي أمر الأمة من أهل البيت؟ ليس هذا فقط، بل يحاربون أن يكون كاملاً كمالاً إلهياً وفق معايير إلهية.

عندما تقول يجب أن يكون من يلي أمرنا عالماً بالدِّين، عالماً بالله، متقياً لله، رحيماً بالأمة، تقياً، ورعاً، زاهداً، أليست هذه المعايير قرآنية؟ حاول أن تضعها في قاعة مجلس النواب لأن تكون ضمن النص الدستوري في

مواصفات من يلي أمر هذا البلد أو ذلك البلد، لن تُقبَل بل تحارب، أولئك الذين يحاربون الإمامة باعتبار إمامة أهل البيت نقول: "تعالوا: خلاص، اسكتوا إذا كنتم ترون بأن المشكلة هي مشكلة أهل البيت، لكن قدِّموا للأمة أنه يجب أن يكون مَن يلي أمرها تتوفر فيه المعايير الإلهية الأخرى" لا. مشغولون بأن يحاربوا مسألة أهل البيت، وهم في الوقت نفسه يؤمنون ببقية الشروط، فلماذا لا تقدِّمون الشروط الأخرى هي وإن سكتم عن أهل البيت؟ لأنكم تعرفون أن الآخرين لن يسمحوا إطلاقاً أن تكون هذه ضمن الشروط التي لا بُد منها في مَن يلي أمر الأمة، لماذا؟ لأنها معايير إلهية، لا تتوفر إلاّ على يد الله سبحانه وتعالى، ونحن لا نريد أن نربط المسألة بهذا النحو، نريد أن نحكم، أنا أريد أن يكون المجال أمامي مفتوحاً أحكم بدون شرط ولا قيد. عندما يقال: لا بُد أن يكون عالِماً أنا لست عالِماً؛ إذاً فكيف أحكم، إذاً أليس هذا شرطاً جديداً عَلَيَّ؛ نصَفر عليه[1] وهكذا، وهكذا. هذا الذي يحصل.

ولهذا هذه الآية نفسها عندما تعرض معايير إلهية في المؤمن الذي تتولاه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(المائدة:٥٦) بعد أن قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وعادةً ما يعرض القرآن صفتين أو ثلاثاً هي نموذج يدل على ما وراءها؛ لأنه عرَض مجمل نواحي شخصيته في صفتين تدلانك على ما بعدهما من صفات الكمال والمعايير الإلهية.

وأين تأتي هذه الآية؟ ألم تأتِ في إطار الحديث عن خطورة بني إسرائيل، وأن خطورة بني إسرائيل تتمثل في اتجاههم نحو إفساد القلوب والنفوس لصنع ولاءات، لصنع أعلام، لصنع ثقافات؟ أليس هذا مما عمله بنو إسرائيل؟ والله قال في القرآن الكريم بأنهم يمتلكون قدرة رهيبة في مجال لَبْسِ الحق بالباطل: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾(آل عمران:٩٩) ويقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(آل عمران:٧١).

إذاً إذا لم نلتزم نحن بأن نسبق الآخرين إلى قلوبنا إلى مشاعرنا لنملأها بالولاء الصحيح وفق المعايير الإلهية؛ فإنهم هم سيأتون ليضعوا لنا أعلاماً آخرين يصلون بهم إلى أعماق نفوسنا فتكون أعلاماً للباطل، أعلاماً للضلال أعلاماً لا تُقدِّم ولا تُؤخر، ليست أكثر من تزييف لعقولنا، تزييف لمشاعرنا، صرفاً لاهتماماتنا عن المحل الذي يمكن أن يكون لها جدوى إذا اتجهت إليه، ألم يُركِّزوا أسامة بن لادن وتصيح منه أمريكا، ألمْ يصيحوا منه أنه، وأنه، وأنه...؟ ألم يُكبِّروه جداً أمام الناس؟ كبَّروه جداً. إذاً كان مِن المحتمل لو أن المسألة على هذا النحو: يشكل خطورة بالغة عليهم، وقائد إسلامي صحيح، مخلِّص للأمة، ويحمل رؤية صحيحة في مواجهة أعداء الله لكان تعاملهم معه تعاملاً آخر، ولَمَا احتاجوا إلى أن يُحرِّكوا ولا قطعة واحدة؛ فالمخابرات الأمريكية واسعة جداً تستطيع أن تضربه أينما كان.

تعرض السعودية في التلفزيون عن وزير سوداني بأن (كلنتون) رفض عرضاً بتسليم أسامة بن لادن. ألم يقل الأمريكيون لـ(طالبان) في أفغانستان: إنها لا بُد أن تسلّمه وإلاّ فسيضربون أفغانستان؟ قال: هم رفضوا عرضاً أيام (كلنتون) الذي تولى قبل الرئيس هذا (بوش) ـ وأمريكا مِن زمان تُرمِّز أسامة هذا ـ بأنه رفض عرضاً بتسليم أسامة، أي: أنه كان بالإمكان أن يسلّموا أسامة لأمريكا ولكن كلنتون رفض، لا نُريد أن تسلّمه، نحن نريد أن نرمِّزه فنجعله عَلَماً نخدع به هؤلاء المساكين من المسلمين، أليس هذا لَبْساً للحق بالباطل؟ أليس هذا صنع ولاءات يجعلك تتولى أشخاصاً وهميين، أشخاصاً لا يشكّلون أيّ خطورة على أعدائك، أشخاصاً يكون ولاؤك لهم ولاءً لا يُسْمِنُ ولا يغني من جوع، يكون اهتمامك بأمرهم اهتماماً ليس في محله، اهتماماً يتبخر في الأخير، تنطلق حتى تُقتَل بين يديه ولا يصبح لدمك أيّ قيمة، حتى لو بذلت أموالك إليه لا يصبح لمالك أيّ قيمة في الأخير، خداع رهيب، تزييف رهيب، يجعل كل شيء لا قيمة له، حماسُك كله يوجهونه إلى حيث يتبخر فلا يصل إليهم حتى ولا رذاذ من ذلك البخار.

هنا تبدو القضية مهمة إذا لم نتولَّ عليًّا عليه السلام ثم نسير في الخط المرسوم لنا أن نتولّى أعلامه فسنصبح عرضة لأن يصنع لنا الآخرون أعلاماً وهمية نتولاها، أعلاماً للباطل وتساند الباطل وتضع الباطل وتصرف عن الحق،

---

(١) نُصَفِّر عليه: نُلْغِيه.

تتولاها. أنت قد تقول: ربما فلان عالِم؛ لأنه عالِم فالله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣٤) هذا يُبيِّن بأن المسألة حتى غير متروكة لك فتتأثر بهذا أو بهذا دون مقاييس إلهية وأنت تتولى الأعلام الذين الله سبحانه وتعالى هو الذي اختارهم وعيَّنهم وحددهم حتى تتولاهم فتسلَم من أن تكون عرضة لزيف الولاءات وصنع أعلام هي في الواقع تضر القضية التي أنت تتولاه من أجلها، أمَّا هنا فالتولي صحيح حيث تكون الولاية للأعلام الذين رسمهم الله للأمة ونصبهم للأمة؛ فإن الولاية تعطي ثمرتها، ألم يقل هنا: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾؟ طالبان ماذا عملوا؟ ألم ينسحبوا من المدن ويتبخروا، ولم ندرِ أين ذهبوا؟ هل غَلبُوا أم غُلِبُوا؟ غُلبُوا أو تَغَالبوا؛ لأن القضية هي كلها خداعٌ ووهمٌ، كلها تزييفٌ وتضليل، حتى لا يبقى منفذ للآخرين لأن يضعوا هنا أو هنا مِن جانبهم شخصاً آخر وهميًّا عَلَماً من أعلام الباطل؛ لأن الآخرين (شغالين) حتى وإن كان الله قد وضع فهم يحاولون أن ينصبوا، ألم يختر عليًّا ليكون عَلَماً للأمة فنصبوا لنا آخرين؟ ألم يختر الزهراء لتكون عَلَماً بالنسبة للنساء وقدوة للنساء سيدة نساء العالمين فنصبوا أخرى؟ هكذا يعمل بَدْوُ أهل الضلال ناهيك عن الخبثاء والمحنكين والدهاة منهم. إذاً فالمسألة مهمة.

وهذه الآيات يجب أن ننظر إليها نظرة جادة فعلاً، قد تقدَّم مقاييس مُعيَّنة هي في الواقع مغلوطة، لكن القرآن الكريم هو نفسه أيضاً إذا اهتديت به وسرت على ولاءٍ صحيح لِمَنْ نصَبَهم لك مِن أعلام الهدى لتهتدي بهم فهو الكفيل بأن يفضح أمامك الآخرين، هو الكفيل بأن يُعرِّفك الله من خلاله وبتوفيقه، فيكشف ويفضح لك الآخرين الذين هم وهميُّون عندما تراهم ينتصبون هنا أو هناك تصيح منهم جهة هنا وهناك، القرآن الكريم لم يغفل أيّ شيء، في الوقت الذي هو يوجهك هو يُبيِّن لك أيضاً كيف تكون طريق الباطل، ألم يقل الله ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد:١٠)؟ بيَّن لك، وضح لك كيف طريق الحق، ثم بيَّن لك أيضاً كيف طريق الباطل.

أحياناً يتجلى لك من خلال الأشياء التي لا بُد منها في جانبِ مَن هو عَلَمٌ من أعلام الحق يتبيَّن لك عكسُها في الآخر الذي يُرفع أمامك كعَلَم، لتقول هو فاضي مِن هذه إذاً لا يصح أن يكون عَلَماً.

نأتي إلى عُمر، ألم يُقدَّم عُمر وكأنه أزكى شخص بعد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ أبو بكر إنما قدَّموه هكذا باعتبار سُلِّم الخلافة لأن عُمر قدَّمه، وإلا فالولاء الحقيقي عندهم هو لعُمر، في هذه الآية ألم يعرض لنا القرآن نفسية الإمام علي (عليه السلام) في اهتمامه بالأمة في حرصه على الأمة فيهمه أمر فقير لا يراه ولا يراه، لا يرى عليًّا ولا يرى هو ذلك الفقير إنما يسمع صوته فيتصدق بخاتمه وهو أثناء الركوع، أليس هذا إنساناً رحيماً بالأمة، حريصاً على الأمة، يهمه أمرها؟ أليست هي مواصفات الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾(التوبة: ١٢٨) وهو الذي ربَّى عليًّا (عليه السلام) ليكون هكذا: تتجسد فيه هذه الأخلاق، هذه المعايير الإلهية؟

قالوا: عُمر هو عمل كذا، وقالوا: فعل كذا، قالوا كذا... إلخ. ونحن نعرف أن القرآن الكريم فيما يركِّز عليه يعمل على أن يكشف لك الأعماق؛ لأنه يرى أن الأشياء هي من داخل وليست من الخارج، ألم يكشف لنا هنا نفسية محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾؟ أين موضع الإشفاق على الأمة والحرص والرأفة والرحمة؟ أين هي؟ فوق العمامة، فوق (الغترة) أم في داخل النفس؟ هل قدَّم لنا محمداً (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أنه يَتَرَكَّعُ كثيراً، أو أنه يسبح كثيراً، أو أنه كان يقرأ القرآن كله في سجدة، أو أنه... من هذا القبيل؟ هل قدَّمه بهذا الشكل؟ هذه شكليات سطحية يمكن أن أنمق شخصاً آخر هو خبيث فأقول: هو كان كذا، وكان كذا في هذه الشكليات.

من الذي يعرف أعماق النفوس؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟ هنا كشف لنا نفسية علي (عليه السلام) التي الأمة بحاجة إليها؛ لأننا ماذا نريد فيمن يتولّى أمرنا؟ هل نريد أن يكون شخصاً يعز عليه أي مشقة أو مصيبة تحصل لنا ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يؤلمه جداً ويعز عليه أيُّ مشقة تحصل لكم، أيُّ ألم يصيبكم، أيُّ شيء يؤلمه جداً كما يؤلمه أن يرى واحداً من أطفاله، واحداً من أهل بيته، من أسرته ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾؟ ألم يقدِّم هذه الأشياء التي تكشف لك نفسية محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ هل داخلها يصلي مائة ركعة؟ هل

داخلها يقرأ القرآن في ركعة؟ هذه شكليات، النفس متى صلحت فهي المهم بالنسبة للأمة، ومَن يكون على هذا النحو هو الذي ينفع الأمة، وهو في الوقت نفسه إنما يكون من منطلق علاقته القوية بالله سبحانه وتعالى التي تجعل حتى لتلك الصلوات المحدودة قيمتها في نفسه وقيمتها عند الله سبحانه وتعالى.

وهؤلاء يقولون عن فلان: إنه كان يصلّي ألف ركعة!ـ الليل لا يتسع، ينسون أن الليل محدود ـ كان يقرأ القرآن في سجدة. هَبْ أنه يصلي ألف ركعة في ثلاثة أيام تكون صلاة مستمرة، أين هذه الثلاثة الآلاف أو الألف ركعة من ثلاث ركعات من نفسيةٍ كنفسية رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في انشدادها القوي نحو الله سبحانه وتعالى وفيما تتركه الصلاة من أثر في نفسه؟ تبدو الألف ركعة أو الثلاثة آلاف ركعة لا قيمة لها لا عند الله ولا في نفس هذا الشخص ولا في واقع الأمة. رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كان يتعبَّد لله، لكن تلك العبادة التي لها قيمة فيما تتركه في نفسه، وفيما يكون لها من أثر في واقع الأمة.

وعندما نأتي إلى الإمام علي (عليه السلام) ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فكشف لنا ما كشف عن واقعه في نفسه مما لا بُد منه بالنسبة لنا ونحن في أمسِّ الحاجة إلى أن يكون مَن يلي أمرنا على هذا النحو، ويأتي من قبل الله ما يدلنا ويرشدنا إلى أنه على هذا النحو، وتتجلى أحياناً الأشياء بمظاهر معيَّنة صادقة حيث قد لا تكون عادة مظاهر جذابة كما حصل من علي وفاطمة عليهما السلام في إطعامهم المسكين واليتيم والأسير.

ألم يكشف هناك أيضاً كيف أنهم يُؤْثِرُون الآخرين وكيف أنهم ينطلقون في إطعام الآخرين والاهتمام بهم وإيثارهم على أنفسهم من منطلق ابتغاء وجه الله، وإن كان هذا الشيء الذي أعطوه وقدَّموه هم في أمسِّ الحاجة إليه؟ ولأنهم أعطوا مَن؟ مسكيناً ويتيماً وأسيراً، هل هذه مظاهر جذابة؟ دعهم يقولون لك: إن فلاناً أطعم مسكيناً، لن يكفيهم هذا.

لاحظ لَمَّا أصبحت القضية حتى لدى من يحاولون أن يُلَمِّعوا الآخرين في أذهاننا، كيف يعملون؟ يظن أنه لو قال: إن أبا بكر أطعم مسكيناً أو أعطى يتيماً وآثره بقرص، ليست فضيلة كافية له، يريد أن يعطيه آلافاً إمّا أن يقول لك: ألف مسكين، أو يقول لك: ألف ركعة، أو يقول لك أشياء من هذه، أليس يريد أن يُكبِّر مثل هذه؟ لكن المسألة ليست المقاييس فيها هي الشكليات: أن هذا أطعم ألف مسكين، وهذا أطعم فقط مسكيناً واحداً، أن هذا أعطى في غزوةٍ ثلاثين ألفاً، وهذا أطعم مسكيناً واحداً. القرآن الكريم يهمُّه أن يركِّز على المظاهر ـ وإن كانت صغيرة ـ التي لها دلالاتها المهمة بالنسبة لأعماق النفوس ليكشف لك نفسية هذا، هذا هو الذي يهم.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾(الإنسان:٨) لاحظوا حتى التقليل في العبارة هنا: مسكين واحد أول ليلة، يتيم واحد ثاني ليلة، أسير واحد ثالث ليلة، أليسوا هنا ثلاثة أشخاص؟ فقط ثلاثة أشخاص؟! هل يستحق لأنه أعطى ثلاثة أشخاص؟! أي: أعطى كذا، كذا... وهذا أعطى مئات الناس، لكن عطاء مئات الناس ـ أحياناً ـ لا يكون له قيمة، يُصَفِّر عليه عند الله سبحانه وتعالى، ولا قيمة حتى عند الإنسان نفسه الذي بذله؛ لأن العطاء إذا لم يكن مِنْ داخل، وتبتغي به وجه الله، وإن كان لفرد واحد، العطاء إذا لم يكن على هذا النحو تبتغي به وجه الله ومن أعماق نفسك يكون له أثره في تزكية نفسك أنت، لكن متى ما أعطيت مُرَاءاة لو تعطي مليوناً فلن يصنع في نفسك أثراً أبداً ولن يزكّي نفسك، مهما عملته مراءاةً أو لأيّ غرض آخر ليس على هذا النحو: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾(الإنسان:٩) ولا من الآخرين أن يثنوا ولا أن يمدحوا، لأنه بالطبع من الذي سيُثني على أننا أطعمنا يتيماً، يتيماً واحداً لا يبدو جذاباً، أليس كذلك؟ لكن ألف شخص يعمل لهم وليمة يبدو هذا جذاباً، أليس كذلك؟ القضية ليست على هذا النحو، يكشف لنا أعماق نفسيات هؤلاء الذين يشدّنا إليهم كأعلام.

أطعم مسكيناً ويتيماً وأسيراً، فقط ثلاثة؟! ليس المهم هو العدد فقط ثلاثة، المهم أجواء العطاء والنفوس التي انبعث منها، الدوافع نحو العطاء هي التي أردنا أن نكشفها لك، فتعرف مَن هم هؤلاء، الذين يعطون على هذا النحو سيعطون الأمة كلها كل ما يملكون، أليس هذا هو المهم؟

إذاً فلنرجع إلى (أمير المؤمنين عُمر) ـ أليسوا يقولون هكذا؟ ـ لنكشف فيه قضية واحدة هم يعرفونها وينقلونها ويروونها هم ويعترفون بها: أثناء مرض النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أليس النبي هو الشخص الذي يجب أن يحترمه الناس ويجلوه ويقدروه وتكون قلوبهم مملوءة بالرحمة والرأفة والعطف عليه أثناء مرضه؟ أليس

مرضه في تلك المرحلة وبعد تلك المؤشرات التي تدل على أنه يوشك أن ينتقل إلى ربه، مما يترك الخوف والرعب والإشفاق في نفوس الناس فتكبر لديهم المسألة فيكون انشدادهم نحوه أكثر، عطفهم عليه أكثر، أن يروه مرة واحدة يركزون بأنظارهم على وجهه ليتمتعوا بما يمكن أن يروه من وجهه في بقية أيامه، يطلب مطلباً أيَّ مطلب كان أن ينفذوه؟ ماذا حصل؟ ولأنه (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كما وصفه الله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يهمه أمر الأمة من بعده لا تضل، لا تختلف، لا تتمزق، لا تتفرق، لا يبرز أشخاص يضلونها يدمرونها يهلكونها، وعلى الرغم مما قد عمل في الغدير وغيره يقول: ((هَلُمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده)). والحمى تلهب جسمه، لكنه لا يزال يحمل اهتماماً بأمر المسلمين بأمر الأمة، يريد أن يعمل ما يمكن أن يعمله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، أليس هذا هو يهمه أمر الأمة، حريص عليها مشفق عليها؟ في مجلسه عُمر ومجموعة كبيرة، يقول عُمر: لا. حسبنا كتاب الله، ويثير ضجة، وآخرون يلتفون نحو عُمر، ويفهمون ماذا يريد عُمر، ويفهمون ماذا يمكن أن يقول رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هم عارفون دائماً يُركِّز حول علي، يُرمِّز عليًّا، يشد الناس نحو علي؛ إذاً هو سيكتبها أيضاً لعلي. لا. لا. حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، دعوا الرجل فإنه يهجر.

آخرون يقولون: قَرِّبُوا قلماً ودواة، قَرِّبُوا كذا يكتبْ لكم كتاباً لا تضلون بعده. يقول عُمر: لا، وبإصرار: لا. لا. ألم يسمع عُمر أن الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يقول: (لا تضلون بعده)؟ إن كان يهمه أمر الأمة فسيكون حريصاً جداً جداً على شخطة قلم، كلمة واحدة يكون فيها أمان للأمة من الضلال، والسلامة للأمة من الضلال؛ لأنه يعلم أن الذي تكلم بهذه العبارة هو رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لكن لا، هو يعلم ما سيعمل النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وسيعارض، له أهداف، له آمال أخرى، هو لا يهمه أمر الأمة أن تضل أو لا تضل يحُول دون أن يكتب الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذا الكتاب بعد أن سمع (أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) ألم يكشف لنا هنا نفسية عُمر أنه إنسان لا يهمه أمر الأمة، أنه إنسان لا يتألم فيما إذا ضلت الأمة، أنه إنسان يحول دون كتابة كلام يحول دون ضلال الأمة، يؤدي بالأمة إلى ألاّ تضل؟ هل هذا انسان في أعماق نفسه يهمُّه أمر الأمة وأمر الدِّين؟ لا. إذاً فهذه النوعية هي التي لا تصلح إطلاقاً أن تحمل لها ذرة ولاءٍ وإن نُمِّقَتْ أمامَك وادّعوا لها الآلاف من الفضائل من هذه الشكليات: ألف ركعة، القرآن في سجدة، يتبخر من فمه رائحة الشواء من خوف الله وعناوين من هذه. لا.

رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الذي هو إنسان قرآني يتحرّك بحركة القرآن ويعرف قدرة القرآن على كشف الآخرين، يكشف للناس في آخر أيامه نفسية عُمر، ويكفينا أن يكشف لنا نفسية عُمر؛ لأن عُمر أصبح عَلَماً للخط الآخر، عُمر هو مهندس كل تلك المتغيرات ابتداءً من الصعود بأبي بكر، والإمام علي كشف المسألة أيضاً قال لعُمر: (احْلِبْ حَلَباً لك شطرُه، شُدَّها له اليومَ يردَّها عليك غداً) هو الذي قال لأبي بكر: (امددْ يدك أبايعك) أليس هو الذي رفع أبا بكر بين الضجة، هو الذي هندس أن تصل الخلافة إلى عثمان، هو الذي هندس ورتب أوضاع معاوية أن يكون في الشام هو الشخص الذي يمكن يكون مؤهلاً لأن يضرب عليًّا (عليه السلام) متى ما تحرك هو أو أحد من أهل بيته في أي فترة، هو الذي رفع بني أمية بعد أن وضعهم الإسلام، وأصبحوا مجتمعاً منحطاً في نظر الأمة؟ هو الذي رفعهم من جديد فأصبحوا يمتلكون الأموال الهائلة، وأصبح لهم علاقات واسعة في أوساط كثير من زعماء العشائر في هذه الأمة.

إذاً من خلال أن يكشف لعُمر سيعرف عُمر وكل من يدور في فلك عُمر أنهم ليسوا جديرين بأن يلوا أمر الأمة ولا أن يهتموا بأمر الأمة، أليس هذا ما حصل؟ وبعد ذلك فليقولوا ما يقولون: فاروق، صدّيق، أشياء من هذه لو يقولون ما يقولون. كلمة (فاروق) أليست كلمة كبيرة؟ فاروق.. فيظهر لك عُمر يرتفع إلى هناك، لكن تعال إلى القضية التي رواها البخاري وغيره رووها هم مؤرخون ومحدثون أنه عارض أن يكتب رسول الله كتاباً لا تضل الأمة من بعده، ألم يشهد عُمر هو على نفسه أنه لو كان لديه احتمال بأن رسول الله سيكتب شيئاً يتعلق به وبصاحبه وأنه قد يرفعهم لقدَّم برميلاً وليس دواة ولحاول أن يُقدِّم أيَّ شيء يكتب به النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) ليكتب المكتوب إذا كان سيكتب شيئاً يتعلق بأبي بكر أو عُمر يجعلهم أعلاماً للأمة، لكن هو يعرف أنه لن يكتب شيئاً إلاّ وهو يقصي الأمة عنهما، أنه سيكتب ما يقصي الأمة عن أبي بكر وعُمر؛ إذاً فهو يريد ألاّ يعمل لهم

ورطة أخرى بعد الغدير. في الغدير طلع هو وعلي فوق الأقتاب ورفع يد علي وقال: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله)) فهو أيضاً يريد أن يعمل لنا ورطة أخرى ويكتب. تلك ممكن أن نقول: مولاه، يعني، ويعني، ويعني... لا يزال معنا...

والمكتوب الذي كان يريد الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يكتبه ألم يعمل عُمر دعاية تضرب المكتوب؟ وهذا الذي جعل النبي فعلاً يتوقف ويقول: (اخرجوا، إنه لا ينبغي عند نبي تنازع) وأصبح الغالب في المجلس عند رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هم يدورون في فلك عُمر عندما قال: (حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، إنه يَهْجُر).

لكن لو كتب النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كتاباً أليس عُمر قد عمل الدعاية ضد هذا الكتاب؟ سيقول هذا الكتاب لا ينفع؛ لأنه كتبه وهو في حالة هذيان لا يعرف ما يتكلم؛ فلا يُعمَل به، لم يكتبه في حالة الصحة والاختيار شرعاً، فيُضرب المكتوب، لكن النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) بهذا الموقف المهم كشف لنا عُمر بشكل رهيب، بل هو بيَّن لنا بياناً لا يضل الناس بعده إن فهموا حتى وإن لم يكتب في الأوراق فقد كتب في أعماق الكون وفي التاريخ وكتب في القلوب إن كانت تفهم، أني كشفت لكم عُمر أنه لا يهمه أمركم أن تضلوا فلتضلوا فإذا كان لا يهمه أمركم أن تضلوا فعُمر وكل من يدور حول فَلَك عُمر ليسوا أمناء على الأمة، ولا يمكن أن يكونوا هم الأعلام الذين تقتدي بهم الأمة، ولا يمكن أن يؤيد الإسلام ولا كتابه ولا رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن تلتف الأمة حول عُمر ويكون علَماً لها كما يصنع الآخرون، ألم يكشف الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذا كما كشف القرآن نفسية علي (عليه السلام)؟ فمن خلال نفسية علي هنا تعرف نفسية عُمر هناك.

هذا ما يجعلنا فعلاً نثق بأنه متى ما سلّمنا قلوبنا، متى ما سلّمنا مشاعرنا لله سبحانه وتعالى وانطلقنا بثقة عالية إلى القرآن نتثقف به، سنعرف كل شيء؛ لأن القرآن تفصيل لكل شيء، وستكون إنساناً لا يمكن أن تُضل، إنساناً لا تُخدع، إنساناً تفهم الأحداث، تفهم أهمية الأحداث ما كان منها حقاً وما كان منها باطلاً، تفهم خطورة الأحداث التي بدت صغيرة عند الآخرين، يجب أن نلتف حول القرآن وأن نكون صادقين في ولائنا للإمام علي (عليه السلام) وأن نعرف أهمية التولي للإمام علي (عليه السلام) وإن كنا نرى أن بيننا وبينه ألف وأربعمائة سنة.

لن نكون من حزب الله الغالبين ما لم نكن على هذا النحو من الولاء لعلي (عليه السلام) الولاء الصادق الولاء العملي الذي يجعلنا نستلهم من علي كيف نتحلى بأخلاق علي كيف نتحلى بنظرة علي باهتمامات علي (عليه السلام) وسنرى كيف سنكون في مواقفنا في اعتقاداتنا في نظراتنا في توجهنا منسجمين مع القرآن لأن: ((عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع علي)).

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يتولى عليًّا (عليه السلام) تولياً صادقاً، وأن يثقفنا بالقرآن، ويفقهنا بالقرآن، ويفهمنا القرآن.

وصلى الله على محمد وعلى آله الطاهرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي بتاريخ: ١٨من ذي الحجة ١٤٣٧هـ الموافق: ١٩ / ٩ / ٢٠١٦م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾ ٢٠٠٢/٢/١٠م
﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ٢٠٠٢/١٢/٢١م	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾	الوحدة الإيمانية	﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٧ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٣ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ

قاطعوا البضائع الأمريكية و الإسرائيلية

الله أكبر   الموت لأمريكا   الموت لإسرائيل   اللعنة على اليهود   النصر للإسلام

الاسم :	**الله أكبر**	الصف: ....
المدرسة:		السنة الدراسية: ....

الموت لأمريكا

الأيـــام	الأولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة	السادسة	السابعة	الثامنة
السبت								
الأحد								
الإثنين								
الثلاثاء								
الأربعاء								
الخميس								

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود   **النصر للإسلام**

الله أكبر

الموت لأمريكا

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود

النصر للإسلام